سلسلة مطبوعات اكاديمية الشاه ولي الله الدهلوي

(١١)

تأويل الأحاديث

تأليف

حجة الإسلام الشاه ولي الله الدهلوي

١١١٤هـ - ١١٧٦هـ

تحقيق وتقديم

الأستاذ غلام مصطفى القاسمي

إدارة النشر

اكاديمية الشاه ولي الله الدهلوي

الصدر، حيدرآباد، السند، الباكستان الغربي

تأويل الأحاديث

في

(رموز قصص الأنبياء)

تأليف

حجة الإسلام الشاه ولي الله الدهلوي

١١١٤هـ - ١١٧٦هـ

تحقيق وتقديم

الأستاذ غلام مصطفى القاسمي



١٣٨٥ ھ

١٩٦٦ م

قیمت: ۳-۰

طبع ما سوى المقدمة فى مطبعع القرآن ، والمقدمة والفهارس وغيرها
طبعت فى المطبع الحيدرى بحيدرآباد (الباكستان الغربى)

Marfat.com

مقدمة المرتب

بسم الله الرحمن الرحيم

من الخطأ مايقوله البرفسور "اوليرى" (١) إن التصوف بدأ بتكوين عقائده و فلسفته منذ عهد ذي النون المصرى، و انتهى هذا الدور بقيام جلال الدين الرومي. وأما ماجاء بعد هذه الفترة فشرح وتعليق ليس إلا، وكذا ما يويّده الأستاذ عبداللطيف الطيباوى بقوله: و نعتقد أن هذا صحيح. فتاريخ التصوف بعد الآن تاريخ نزاع وعراك مع السنة، و فلسفته شرح لكتب الأقدمين و توضيح لآرائهم. لم يقم من قال بنظرية فوق الشمول، أو من أوجد طريقة فاقت الطرق السابقة، بل كانوا يفضلون أن ينسبوا أنفسهم إلى القدماء. عجيب هذا الركود. و الله، لقد انعدمت روح الابتكار و الإبداع من العالم الإسلامى؟

فما كنت ترى إلا مقلدا تابعا! (٢).

ولو درس هذان الأستاذان مؤلفات شيخ مشائخنا الإمام ولى الله

(1) DELE. O, Leary, Arabic Thought etc.
(London 1922) P. 202.

(٢) راجع التصوف الإسلامى العربى تأليف عبداللطيف الطيباوى بالجامعة الأمريكية، ببيروت.

الدهلوى فى التصوف لما أقاما رأيا، ولا يخفى عليهما أن طريقة هذا الشيخ لها خصائص لم توجد فى كتب الأقدمين، بل هو أوجدها بفكره و صفاء قلبه، ولا يوجد الركود و الجمود فى طريقته بأن يقلد الأقدمين، و يقتصر على شرح أفكارهم، ولا يخترع من عند نفسه شيئا، ولو نظر الناظر إلى تصانيفه لظهر له أنّ ما ذكره المؤلف الإمام فى تلك الكتب مما كشفه الله عليه، و فهّمه و لم يكشف على أحد قبله مثله، وأيضا لو قيس الإمام المؤلف بغيره من أعلام مؤلفى الإسلام الأصفياء والمتفلسفين لفاقهم جميعا فى ميدان التأليف من ناحية الكيف، و قد صرح بما ادعيت المحدث المحقق بلا مقال الشيخ **محمد بن يحيى** المعروف **بالمحسن** التيمى البكرى الترهتى (١) فى تاليفه اليانع الجنى حيث يقول: إن علومه (اى الشيخ **ولى الله** الدهلوى) التى خصه الله تعالى بها والتى أشرك معه فيها غيره من سائر الأئمة كثير يكل اللسان عن إحصائها، و لكن لا على أن أذكر طرفا من تلك المفاخر لتبين من رزق الإنصاف، و تنكب تضاليل الاعتساف أنه كم ترك الأول للآخر و لا غرو فان الجدّ ينزل من السماء، و الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء.

فمنها ما أكرمه الله تعالى به من الفصاحة فى اللغة العربية دون كثير من المولدين و غيرهم. إذا سمعت من لفظه الرقيق المعرب البديع خيّل إليك كأنما هو رجل نشأ ببادية من علياء هوازن أو كأنما أدّبته امرأة من سفلى تميم.

---

(١) راجع اليانع الجنى ٨٢ على هامش كشف الأستار من رجال معانى الآثار طبع دار الإشاعة بديوبند ١٣٤٩هـ.

و منها علوم الفقه على مذاهب الأئمة الأربعة، وأصحابهم و ما اتصل بذلك من مذاهب الصحابة و التابعين وأقوال جماعات من فقهاء المحدثين فاستحضر المذاهب، و حررها، و مارسها، واختبرها، واطلع على مآخذ المسائل، و منازع الحجج و الدلائل و ميز قشرها من لبابها و مخها من عظامها، و زيّل بين الشحم والورم، و فرّق نار الحباحب (١) من نار الضرم.

و منها علم الحديث و صناعة الأثر، قد استبان للناس مثل ضوء النهار حين تكون الشمس فى رابعة النهار أنه عذيقها المرجب (٢)، و جذيلها المحكك، و إنه أبان للناس صواه وأبرم مرائره و قواه، و نشر أعلامه و أخفق لواءه، و جدّد معالمه ورد رواءه حتى سلم الناس له أعشار الفضل، ورأوه رئيس المحدثين، ونعم الناصر لسنن سيد المرسلين و هذه فضيلة لا يختلف فيها اثنان، ولا يجحد بها أعداءه فما ظنك بالخلان. والفضل ما شهدت به الأعداء.

و منها علم تفسير القرآن، و تأويل كتاب الله العزيز، فمن نظر فى كتبه تقصى نظره فيها، و أنعم كشف القناع عن وجوه عرائسها، وهجم على كنوز نفائسها شهد بتوفر حظه منه، وإنه لنعم الترجمان لكتاب الله،

(١) اسم رجل بخيل كان لا يوقد نارا إلا ضعيفة فضرب بها المثل حتى قالوا نار الحباحب لما يقدمه الخيل بحوافرها.

(٢) العُذيق تصغير العذق بالكسر و هو النخلة. و المرجب المسند بالرجبة و هى الخشبة ذات شعبتين. و الجذيل تصغير الجذل وهو العود الذى ينصب للإبل الجربى، والمحكك الذى كثر به الاحتكاك حتى صار أملس. أى هو الذى يستشفى برأيه فى هذا العلم.

و لحبذا العون على تأويله، و إنه كاشف حقايق وحيه و تنزيله.
و منها أصول هذه العلوم و مباديها التى هذّبها الشيخ رحمه الله تعالى تهذيبا بليغا، وَ لخّص أمهاتها تلخيصا عجيبا، و أكثر من التصرف فيها حتى يكاد يصح أن يقال إنه بانى أسها، و بارى قوسها. فأما أصول التفسير فكتابه المعروف فيها شاهد صدق على براعته على كثير من أهلها. والحق أنه متفرد بتحقيق هذا الفن و تدقيقه.
و منها علم العقائد وأصول الدين' فقد أوضح إلى معتقد السلف، و ميّز العدى (١) من الزِن من قول الخلف، و بيّن ما يدان به الله تعالى عقدا من الدين مما ينظر فيه، و يتخير من آراء المسلمين، و إنه كيف يتطابق المعقول والمأثور، وكيف يتخاص من الظلمات إلى النور.
و منها آداب السلوك، و علم الحقايق. فقد تجلى له أمور صادقة جليانا من ربه، و تدلى إليه عرى واثقة فتسبب بها إلى سرادق عزه و جلاله، و تبدى له أسرار لاهوتية' و انعكست عليه أنوار ملكوتية، و أكرمه الله بالنفس الزاكية والقوة القدسية. فناجى من ألقى إليه السمع جلية الحال، وأفاض من ذوارف المعارف على أهلها سجالا أى سجال، فلا لسان أنطق بالحقائق من لسانه، و لا ميزان لوزن نقود المعارف أقوم من ميزانه، و ذلك لأنه كان جامعا بين الطرق الثلاثة من السمع و الفكرة و الذوق، فلا يتجلى له شيء من السر الغامض فيقبله إلا بعد ما يشهد بصحته شاهد أصدق من المعقول والمنقول، ويشد أساسه، و يسد خصاصه بينات من الأصول.

(١) بكسر أوله قسم من الحنطة. والزن بكسر المعجمة و تشديد النون الدوس الذى يخالطه الحنطة.

Marfat.com

و هذه كتبه المصنفة فى هذا الباب، و كتب من حذا حذوه من الأصحاب حجة على ماذكرته بالغة، وأدلة عليه كالشمس في أفق السماء بازغة.

وقد جمع الله فى صدره ما شتته بين هؤلاء، فجبر كسرة كل منها بالآخر، وسدّ خلله و جمع بين الطرق، و ماز الصفو عن الكدر وبيّن ما يسوغ النظر فيه مما لاينال بالراى، و ما يقتدى فيه مما قد يبتدى. فجاءت طريقته جامعة لأعلام الهدى. فلا طريق أوضح من طريقه، ولا تحقيق أحرى بالركون إليه من تحقيقه. انتهى ملخصا.

و لولاخوف الإطناب و الخروج عن الموضوع لذكرنا بعض العبارات والنصوص من تآليفه ما يدل على صحة ما ادعيناه، و على علو كعبته فى جميع العلوم عامة و فى فلسفة الإسلام والتصوف خاصة، و لكن نعرض بين يدى العلماء و طلبة العلم أن يطالعوا كتبه من المتون المهمة الأربعة كسطعات، و لمحات، و همعات و ألطاف القدس، و كالخير الكثير فى معرفة حقائق الأشياء و غيرها من الكتب. و ههنا هدف بحثنا تأليفه فى توجيه قصص الأنبياء عليهم السلام، و بيان مباديها التى نشأت من استعداد النبي و قابلية قوته و من التدبير الذى دبّرته حكمة العليم القدير فى زمانه، فقد ألف الإمام لذلك رسالة جيدة سماها "تاويل الأحاديث". و هو كتاب منفرد فى بابه، حجمه صغير، و معناه كبير لايوازيه شيء من مؤلفات عظام لكبار أعلام فى علوم القرآن.

أما كتاب فصوص الحكم للشيخ الإمام محى الدين ابن عربى، و إن كان أسبق منه زمانا، وأشهر معرفة في العالم فهو أيضا ليس بمثابة

هذا التأليف! لأن الشيخ ابن عربى لم يكن هدفه تأويل قصص القرآن و توضيحها، بل يجعلها ذريعة لإبراز فلسفته حيث يسرد قصة كل نبى، و يتخذ من كل قصة مسرحا ليمثل فيه صاحب القصة الدور الخاص الذى يعهد إليه القيام به، و لا تخلو طريقة تأويله للآيات من تعسف و شطط أحيانا لاسيما إذا عمد إلى الحيل اللفظية فى الوصول إلى المعانى التى يريدها (١). والرسالة هذه ليست كذلك. فمن تلك الوجهة لها أهمية عظيمة.

شرح التاويل: ظاهر ما قال فى القاموس يدل على أن التاويل، و التفسير واحد. حيث يقول: (و أوّل الكلام تأويلا، و تأوله دبره و قدّره و فسره) يقول شارحه العلامة الزبيدى الحنفى: "و ظاهر المصنف أن التاويل و التفسير واحد. و فى العباب: التاويل تفسير ما يؤول إليه الشىء. و قال غيره: التفسير شرح ماجاء مجملا من القصص فى الكتاب الكريم، و تقريب ماتدل عليه ألفاظه الغريبة، و تبيين الأمور التى أنزلت بسببها الآى. و أما التاويل فهو تبيين معنى المتشابه. والمتشابه هو ما لم يقطع بفحواه من غير تردد فيه. و هو النص.

و قال الراغب: التاويل رد الشىء إلى الغاية المرادة منه قولا كان أو فعلا. وفى جمع الجوامع: هو حمل الظاهر على المحتمل المرجوح. فإن حمل لدليل فصحيح أو لما يظن دليلا ففاسد، أولا لشىء فلعب لا تأويل. قال ابن الكمال: التأويل صرف الآية عن معناها الظاهر إلى معنى تحتمله إذا كان المحتمل الذى تصرف إليه موافقا للكتاب و السنة كقوله: (يخرج الحى من الميت) إن أراد به إخراج الطير من البيضة كان

---

(١) قلت: إن شئت التفصيل فراجع مقدمة الفصوص للدكتور عفيفى ص١٢.

تأويلا' وإخراج المومن من الكافر، و العالم من الجاهل كان تأويلا.
وقال ابن الجوزى: التفسير إخراج الشىء معلوم الخفاء إلى مقام التجلى، و التأويل نقل الكلام عن موضعه إلى ما يحتاج فى إثباته إلى دليل لولاه ماترك ظاهر اللفظ. وقال بعضهم: التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل، و التأويل رد أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر.
وقال الراغب: التفسير قد يقال فيما يختص بمفردات الألفاظ وغريبها، وفيما يختص به (التأويل). ولهذا يقال (عبارة الرؤيا) وتفسيرها وتأويلها اھ (۱).
هذا ما كتبه علماء اللغة فى شرح معنى التاويل. و المراد منه عندالمؤلف العلام ما كتبه فى تأليفه (الفوزالكبير فى أصول التفسير) بألفاظه: از علوم وهبيه در علم تفسير كه بآن اشارت كرديم تاويل قصص انبيا است عليهم السلام. و فقير براى اين فن رساله تاليف كرده است مسماة بتاويل الاحاديث. و مراد از تاويل آنست كه هر قصهٔ كه واقع شد آنرا مبدأ مى باشد از استعداد پيغامبر، و قوم او از تدبيرى كه خدايتعالى در آن وقت خواسته است. وگويا برهمين معنى اشاره رفته است در آيت (و ما يعلمك من تأويل الأحاديث. (۲)
و يقول شيخنا العلامة عبيدالله السندى: قصص الأنبياء و تعبيرها عن تدبيرالاهى، ثم إتيان مثل ذلك التدبير فى سيرة النبى هو تاويل الأحاديث

(۱) راجع تاج العروس من جواهرالقاموس للسيد محمد مرتضى الزبيدى الحنفى ج ۷، ص ۲۱۵. قلت: وإن شئت مزيد تحقيقه فراجع لسان العرب ۱۳ــ۱٤: ص ۳٤.
(۲) راجع الفوزالكبير (الفارسي) طبع المجتبائى ۱۸۹۸ م.

للأنبياء. و تفصيل ذلك فی كتاب تأويل الأحاديث للإمام ولی الله. (۱)

تحليل الكتاب

تاويل احاديث آدم

ذكرالله تعالى قصة آدم عليه و على نبينا الصلوة و السلام فی كلامه بعبارات مختلفة فی سور شتی. و هی أول قصة ذكرت فی أوائل سورة البقرة. و هی تشتمل على عدة مسائل كإخبارالله تعالى للملائكة بخلق خليفة فی الأرض، و قول الملائكة: أتجعل فيها من يفسد (الآية) وتعليم الله له الأسماء، ثم عرضها على الملئكة، وأمرالملئكة بالسجود له وإباء إبليس عن السجود، ومحاجته لربه، وخلق حواء، وإسكانهما الجنة، وإضلال الشيطن لهما، وإغراءهما على ألاكل من الشجرةالممنوعة، و إخراجهما من الجنة، وهبوطهما إلى الأرض و غيرها.

ولا حاجة لنا إلى سرد ما كتبه أكثرالمفسرين فی هذه الأسئلة لأن أكثر ما كتبوا نقول و حكايات على لسان بنی إسرائيل و المؤلف الإمام له نظرية خاصة فی شرح قصص الأنبياء و تأويلها فی تأويل الأحاديث، فإنه لايسرد القصة بتمامها، بل يشير فی كل واقعة إلى تعبير تلك الحادثة، و وجه خصوصية شبحها، و فی كل خارق يشير إلى الأسباب الضعيفة له، لأن العالم عالم الأسباب، ولا يخلو كل حادثة عن سبب ما ولو ضعيفا لا يدركه عقول العامة. فمعجزات الأنبياء وإن كانت بخارقة عن العادة و خالية عن السبب الظاهر، و لكنها لا تخلوا عن سبب خفی يعرفه الخواص من أهل العلم و ذوی البصيرة.

---

(۱) التقريرات التفسيرية الخطية لشيخنا العلامة السندی.

و اعلم أن كل ما يشير إليه المؤلف الإمام من تعبير الأحاديث و القصص المنزلة فى كلامه تعالى فمبناه على مصطلحه فى إنزال العلم من الله تعالى على البشر بلسان البشر، فإن الله تعالى ينزل العلم على البشر فى مرتبة التجلى و التدلى، لا فى درجة الإطلاق و الصرافة الأولى التى هى مرتبة الذات.

و المؤلف الإمام لا يسلم المجاز و الكناية فيه، بل له اصطلاح خاص يسميه "التجوز الطبيعى" و فسّره بمحاكاة حادثة و واقعة منتظمة، أو كلام فى كناية بسر إجمالى معنوى بالعلاقات التى تراعيها الطبيعة فى المنام إذا تلقت العلم الإجمالى و صوّرته بصورة. فالأحوال الطارئة على نفوس الكمل، والواقعة المنتظمة فى عالم المثال حكمها حكم المنام، و كذلك الحوادث الواقعة فى العالم كلها منامات. و لها أصول و أشباح.

مثاله فى قصة آدم: إن الله أراد أن يجعل فى الأرض خليفة، فخلق آدم للخلافة. و خلقه فى فلسفته عبارة عن ظهور إمام نوع الإنسان فى الناسوت بطلبه، و ليس عنده بخل و ضنى، و كان هناك ملائك سفلية من أقسام الناطق، و هم الذين يعملون فى العناصر بإلهام الله و يستحقون الإلهام بما سيقع، فألهم الله تعالى إليهم أنه سيجعل آدم خليفة فى الأرض يكون من شانه سفك الدم و الفساد فى الأرض، فيجازى فى الدنيا والآخرة فقالو مستفهمين أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء (١) و هذا ليس باحتجاج عليه تعالى. فاشتبهت عليهم الحكمة. فإن قيل كيف اشتبهت عليهم الحكمة، وهم ملائكة؟ قلنا: إن هذا غير مستبعد عنهم لأنهم لا يعلمون إلا ما ألهموا. فاقتضت حكمة الله أن يعلمهم ما جهلوا بإلهام إجمالى

---

(١) سورة البقرة ٣٠

أن لله حكما لا يعلمونها، وإليه الإشارة فى قوله تعالى(إنى أعلم ما لا تعلمون(١)) وبواقعة تفصيلية ثانيا' فاجتمع بإذن الله مادة العناصر فلما اعتدلت العناصر' وتعفنت تعفنا طيبا روحانيا لادنسيا وصارالطين كالفخار نفخ فيه روحا فصارحيا. و هذا معنى قوله: (ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون) (٢) واعلم أن آدم عليه السلام قدأحاطت به حقيقة من عالم المثال يعبر عنها بالجنة' فعومل باٰدم معاملة أهل الجنة وهو صار جسدا مثاليا. والمتجسد المثالى ليس له استقرار فى الأرض، فانسد له باب كونه خليفة فى الأرض. فكل ماظهر له من بعد هذا من التقريبات تنبيه لاٰدم عليه السلام فظهرت التقريبات بتنبيه اٰدم عليه السلام بأن أكله للشجرة حرام عليه لأنه سبب المخروج من الجنة' وانعقد عليه هذا التنبيه وحيا' وكان الشيطٰن مستعدا لإلقاء الوسواس' فأكل فعوتب' وأخرج. وهذا كله منام و رؤيا. فالحادثة حادثة عالم المثال' وكان له منام ورؤيا.

وتعبيره عند المؤلف الإمام: أن الله أراد به أن يصير خليفة فى الأرض' ويبلغ إلى كماله النوعى. أما نهيه عن أكل الشجرة' وإلقاء الوسواس من الشيطان' ثم معاتبته' وإخراجه فكله صورة التقريب من عالم المثال إلى الناسوت تدريجا. وعلى هذا يعرض سوال بأن الجنة من عالم المثال' واٰدم عليه السلام كان أرضيا خلق من طين' ونفخ فيه من روحه كما ورد فى الكلام المنزل (ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون) فكيف وصل إلى الجنة؟ وهى من عالم المثال. فأجاب عنه المؤلف الإمام فى تأليف آخر بأن ادم عليه السلام و إن كان أرضيا،

---

(٢) سورة البقرة ٣٠

(١) صورة الحجر ٢٨

ولكن بكماله وسبوغه اكتسب بدنا أخرويا' فأسكن فى الجنة فشابه حينئذ للتمجسد المثالى. (١)

و لما كان القصد فى إيجاد آدم إلى إنشاء نوع الإنسان التوى فى شخصيته حكم النوع، وأيضا لما كان من اجتماع همم الروحانيات التوى فى روحه حكم الروحانيات.

فلما كان حديث عهد بربه، ولم يقوفيه نظام العناصر، والأخلاط، وكانت حالته تشبه الطفولية و لم يكن قادرا على كسب المعيشة والجرى وراء حاجته عومل معه معاملة أهل الجنة حينا من الدهر.

والجنة هل كانت أرضية أو سماوية؟ لم يصرح المؤلف الإمام بشىء وشارح فلسفته شيخنا العلامة السندى صرح بكون الجنة أرضية (٢) وهو ليس بمتفرد فى هذا بل قد حكى هذا القول عن أبى بن كعب وعبدالله بن عباس رض و وهب بن منبه وسفيان بن عيينة، و اختاره القاضى منذر بن سعيد البلوطى قاضى الجماعة فى تفسيره، وأفرد له مؤلفا على حدة، وحكاه عن أبى حنيفة الإمام وأصحابه رضى الله عنه، ونقله أبو عبدالله محمد بن عمر الرازى ابن خطيب الرى فى تفسيره عن أبى القاسم البلخى وأبى مسلم الأصفهانى، و نقله القرطبى فى تفسيره عن المعتزلة والقدرية. وقد حكى الخلاف فى هذه المسألة أبو محمد بن حزم فى الملل و النحل وغيره. (٣)

(١) راجع التفيهمات ج٢ ص١١٨ طبع المجلس العلمى

(٢) راجع تفسير إلهام الرحمن ج ١، ص ٩٣.

(٣) راجع قصص الأنبياء، تاليف عبدالوهاب النجار، ص٩. و التفصيل فى البداية و النهاية لابن كثير ج ١' ص ٧٥.

أما سجود الملائكة لآدم عليه السلام فليس المراد من الملائكة هنا عند المؤلف جميع الملائكة، بل الملأ السافل فقط كما صرح به فى تأليفه الشهير: "الخير الكثير" حيث يقول. وأما سجود الملائكة لآدم عليه السلام فإنما كان عندنا من العنصريين الذين منهم إبليس، لا الفلكيين. وبه يفك العقدة فى قول الله تعالى (كان من الجن ففسق عن أمر ربه)، والاستثناء متصل فتعرف. (١)

وهذا التحقيق وإن كان خلاف مسلك المتكلمين لكنه لا يرى وجوب موافقتهم فى مثل هذه المسائل، وقد صرح بهذا فى مقدمة حجة الله البالغة ومع ذلك كان يدارى أهل زمانه أحيانا، وذلك لعدم صبر أهل زمانه على مخالفة المتكلمين، ولذلك يتكلف فى تاويل الأحاديث ويؤول بأن ملائكة الملأ الأعلى تمثلوا بالملأ السافل عند الأمر بالسجود للملائكة، وسجدوا فصار السجود من جميع الملائكة.

خلق حواء

قال الله تعالى (وخلق منها زوجه) وهذه العبارة محتملة لأن يكون الله قد أخذ ضلعا من أضلاع آدم، وخلق من ذلك الضلع حواء، وقد قال بذلك كثير من العلماء. أما عند المؤلف فهى مخلوقة من تخيل آدم. فآدم عليه السلام كانت فيه طبيعة شهوية فاشتاق إلى أنثى من جنسه شوقا قويا، فتخيل صورة الأنثى تخيلا حثيثا فوجدت من تخيله.

قال شيخنا العلامة عبيدالله السندى: إن الأحاديث التى وردت بأن

(١) راجع الخير الكثير ص ٤٣، طبع المجلس العلمى.

الخروج من الجنة، و يوصله إلى العناء، و أيضا ألهم علما آخر. و هو أن أكله سبب الخلد أى بقاء النوع فنزل العلمان على الطبيعة، و اشتبه الأمر عليه، و صار متحيرا مترددا. فكفى الله تعالى عن التحير والتردد بالنسيان. ثم هاجت فى صدره داعية شهوية فأكل. فكان هذا العلم مع الاختلاط بالباطل وسواسا شيطانيا، و كان تقريبا لما أراده الله تعالى فى الأزل.

ادريس عليه السلام

ادريس عليه السلام وصفه الله فى كلامه بأمور. أحدها أنه كان صديقا نبيا، وثانيها قوله تعالى (ورفعناه مكانا عليا) (١) و فيه قولان: أحدهما من رفعة المنزلة كقوله تعالى لمحمد ﷺ (و رفعنا لك ذكرك) فإن الله تعالى شرفه بالنبوة، وأنزل عليه صحائف. و هو الراجح عند الإمام أبى البركات عبدالله بن احمد بن محمود النسفى صاحب المدارك، حيث يقول تحت تلك الآية: هو شرف النبوة و الزلفى. و ذكر قول الرفعة فى المكان بصيغة التمريض (٢) و الثانى أن المراد به الرفعة فى المكان. و هو الأولى عند الإمام الرازى (٣)
و الأشهر فى اشتقاقه من الدرس. والإمام النسفى صرح بأنه غير صحيح حيث يقول "و قولهم سمى به لكثرة دراسته كتب الله لا يصح، لأنه

---

(١) سورة مريم ٥٧.
(٢) راجع المدارك ج٣، ص٣٨، طبع عيسى البابى الحلبى و شركاه.
(٣) راجع التفسير الكبير ج ٢١، ص ٢٣٣، التزام عبدالرحمن محمد بميدان الأزهر بمصر.

لو كان إفعيلا من الدرس لم يكن فيه إلا سبب واحد، و هوالعلمية، و كان منصرفا، فامتناعه من الصرف دليل العجمة (١).

يقول العلامة موسى جارالله: زرت كبير البراهمة فى بنارس. و كان له اهتمام بالقرآن الكريم و إلمام، ذكر فى أثناء كلامه: أن ريش فى لسان البراهمة هوالرسول. ديو ريش هو عظيم الرسل. فتحدست ثم سألته فقلت: فما معنى كلمة "اد" فى لغة البراهمة فسكت هنيهة، ثم قال "اد" معناه الأول. ففرحت فرحا، و قلت فى نفسى: فإدريس معناه: أول الرسل أو رسول أول. عددت هذه الفائدة نفحة إلاهية، و رحمة اتفاقية، هدتنى إلى ماورائها، و شكرت الله (٢).

يقول المؤلف الإمام: كان إدريس عليه السلام فى ابتداء أمره من شيعة آدم عليه السلام يقفو أثره فى العلوم الإنسانية، و كان كماله يومئذ التجرد إلى أحكام الصورة الإنسانية، ثم ترقى إلى حكمة انسلاخية. والانسلاخ عند المصنف عبارة عن قهرالعين على تمثلاته بحيث تصير كالمعدوم، و يكون كما كان فى الأزل، و لا يكون له كمال دون فيضان وجوده. فلا سمع دونه ولا بصر دونه فتكون كأنه جسم أخروى. (٣) ثم إلى نقطة اللاهوت، ثم تنزل إلى علوم طبيعية، و إلهية، و نجومية، و طبية، و ارتفاقية. ثم بورك فى تلك العلوم فنشأت ملة المجوس، و كانت هذه العلوم حقة يومئذ، و إن كان اليوم

(١) راجع المدارك ج ٣، ص ٣٨.

(٢) راجع كتاب حروف أوائل السور ص ١٦٧، طبع بهوفال.

(٣) راجع الخير الكثير ص ٥٩.

الحق المشوب بالباطل. ثم ترقى إلى هيئة ملكية بكبح الطبيعة، وأحاطت به الجنة و رفع مكانا عليا.

نوح عليه السلام

ذكرت قصة نوح عليه السلام مفصلة فى سورشتى من القرآن الكريم فى سورة الأعراف، و سورة هود، و سورة المؤمنون، و سورة الشعراء، و سورة القمر، و سورة النوح. و كان لنوح عليه السلام عندالمؤلف العلام كمال آخر وراء النبوة، و هو الاقتراب بالكائنات السفلية (١) و كان مزاجه التراكم. و هو عبارة عن صورة جوية تشبهه صورة المزاج، و كان قوى القوة، و كذلك أكثر قومه كان قويا. فنزلت شريعة قوية تكسر حدة مزاجهم من دوام القيام، و الصيام، و سائر الطاعات القاهرة على القوة الحيوانية، و لما كان ركونهم إلى أمور تناسب البهيمية أفسدوا الارتفاقات، و خرجوا عن معنى الإنسانية، و إن كانت صورتهم صورة الإنسانية. فانعقد عليهم الغضب فى الملأ الأعلى، وقضى بهلاكهم فوجب فى حكمة الله الإنذار. و لما كان إعدام الأنواع شرا عظيما فألهم نوح عليه السلام صناعة السفينة لبقاء أصول الأنواع، فلما أتم عدته، وجاء الموعد، جمع فيها الأنواع من كل نوع ذكرا و أنثى.

و كان التدبير الإلٰهى ينتظر واقعة عظيمة من وقائع الجو يعذب قوم نوح فيها. حتى إذا توافقت الأسباب السماوية و الأرضية على طوفان عام مائى نفذ الله عند ذلك قضائه. و كان جميع علوم نوح عليه السلام

(١) راجع الخير الكثير ص ٦٦، طبع المجلس العلمى.

من العناية بالطبائع الأرضية و العناية بالأحكام الفلكية و غيرهما فجعله الله الآدم الثانى.

هود و صالح عليهما السلام

كان هود عليه السلام ينذر قومه عذاب الله، و يذكر لهم المثل بقوم نوح، و يذكرهم بنعم الله تعالى عليهم، وهكذا كان صالح عليه السلام. والقوم كانوا أصحاب أوثان يعبدونها فكان أمرهما فى أنفسهما و أمر قومهما فى الكفر و الفسق و القضاء بهلاكهم عند المؤلف يشبه بقصة نوح عليه السلام.

و عاد كان قوم هود. و كان مسكنها الأحقاف و الرمال، و كان هواء ديارهم مائلا إلى اليبوسة و السخونة، كان أقرب وجوه العذاب فى حقهم الطوفان الهوائى، فلما رؤا السحاب أى المادة المجتمعة فى السماء زعموه سحابا ممطرا، وكان ما استعجلوه من عذاب الله فتحوّل ريحا صرصرا.

و لما كان مسكن ثمود الجبال، و المغارات كان أقرب التعذيبات فى حقهم الزلازل، و الصيحة.

كل شر فى الملكوت فإنه يتمثل بصورة حيوان، لأن الشرور لها مناسبة جبلية بالحيوانات. فظهر شرورهم بدعوة صالح عليه السلام بصورة ناقة فلما قتلوها تروح الشر وجاء الطوفان.

ملاحظة: عاد: قبائل عربية قديمة كانت تسكن فى القسم الجنوبى من جزيرة العرب الذى كان يسمى بالأحقاف أيضا. وهى أكثبة الرمل. وثمود: قبائل عربية قديمة كانت تسكن فى القسم الشمالى الغربى من جزيرة العرب فى طريق المدينة والشام وفى المنطقة المعروفة اليوم بمدائن صالح.

قصصها هى عربية قديمة وليست توراتية، والسامعون من العرب لايجهلونها، وأنها وصلت إليهم منقولة من جيل إلى جيل. فدمّر الله تلك المساكن بعذابه بسبب تكذيب أهاليها لرسوليهم هود وصالح عليه السلام.

قال فى التفسير الحديث. بلاد عاد هى فى جنوب اليمن مما يعرف اليوم ببلاد حضر موت، وبلاد ثمود هى فى شمال الجزيرة العربية وعلى طريق بلاد الشام مما يعرف اليوم ببلاد مداين صالح. وكانت القوافل الحجازية التجارية تمر بمداين صالح فى طريقها إلى بلاد الشام ومصر كما كانت تصل إلى بلاد حضر موت فى رحلتها الشتوية إلى اليمن.(١)

ابراهيم عليه السلام

إعلم أن أفراد الإنسان مختلفين فى ظهور الأخلاق الباطنية والملكات النفسانية. فمنهم من يكون الشجاعة فيه مفقودة، ومنهم من يكون فيه ضعيفة، ومنهم من يكون فيه متوسطة، ومنهم من يكون فيه قوية، ومنهم من يكون فيه فى غاية الشدة بحيث لايمكن له حبس نفسه عن مقتضيات الشجاعة. وهو الإمام فى الشجاعة لايحتاج إلى إمام آخر. وبالجملة فالناس مختلفون فى الفطرة كاختلافهم فى الشجاعة. فمنهم الإمام فى الفطرة، وهو المندفع بالضروة إلى العبادات بحيث ليس لرسم ولاطبع ولاقاسر أن يمنعه عن مقتضى فطرته.

فإبراهيم عليه السلام كان خارجا إلى الفطرة، وكان إماما فيها عندالمؤلف وبحسب هذا الخلق يترشح عليه علوم إلهٰية، ولحق بالملأ الأعلى وانعكس عليه النورمنهم وفى ضمنه تيسرله التوجه إلى الرحموت فلذلك جعل إماما، وأمر الأنبياء عليهم السلام باتباع ملته.

---

(١) راجع التفسير الحديث ج ١ ص ١٥٠ تاليف محمد عزة دروزة طبع دارإحياء الكتب العربية بمصر.

فلما بلغ أشده آتاه الله الحكمة، وانكشفت عليه فطرته، فلما رأى الكوكب والقمر والشمس آفلات تذكّر منها أن ربه الذى يربّيه، ويهديه وهو برئ عن أحكام الأجسام. فأشرق عليه الحق. وكان ذا غيرة شديدة على مايعبد من دون الله كما جاء فى سورة الأنبياء. "ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين - إذ قال لأبيه وقومه ماهذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون". فأراد أن يقيم لهم برهانا عمليا على أنها لا تلحق لهم أذى إذا تركوا عبادة الأوثان أوتكسبهم خيرا إذا عبدوها، فكسر الأصنام حسب ما أقسم كما جاء فى سورة الأنبياء: "وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين" فلما أعيت للمشركين الحجة عمدوا إلى إهلاك إبراهيم وألقوه فى النار.

كيف صارت النار بردا وسلاما كان إبراهيم عليه السلام عبدا مرضيا يريد الله بقاءه فى الخلق، فأفاض على مادة النار هيئة باردة دفعة واحدة فى ضمن ريح هبّت عليها من الطبقة الزمهريرية، حملت برودة شديدة فغيرت النار فحصل من تصادمهما هواء طيب.

رحلة ابراهيم من وطنه واعتراض جبارله. ثم إن إبراهيم عليه السلام ضاق صدره بمجالسة الفجار، وتبرأ من قومه فهاجر إلى أرض يمكن له فيها عبادة ربه أى إلى بلدة أورالكلدانين ثم حاران وبعد ذلك إلى فلسطين، ومعه زوجته سارة؛ وسكن إبراهيم فى تلك الأنحاء فحدث جدب فانتقل إلى مصر فاعترضه جبار يريد أن يظلمه على امرأته سارة، فدعى الله تعالى، فأوحى الله إلى الملائكة أن يدخلوا فى جسد الجبار من قبل الريح المنبعث فى البدن فتشنجت يده، فلما رأى ذلك تركها وأخدمها هاجر،

ولادة اسماعيل و اسحاق ثم إن إبراهيم كبر سنه' ولم يرزق ولدا فرحمه الله ورزقه ولدين، وكان من عناية الله بإبراهيم عليه السلام، وهو إمام الفطرة وكان الناس محتاجين إلى خلفاءه' وأقرب الناس إلى الإمامة من التوى فيه سراالجذب' فجعل فى ذريتها النبوة والكتاب وجعلت الدعوة إلى التوحيد كلمة باقية.

أما إسماعيل فكان مراد الحق فيه أن يجعله سادن حرمه، وكان أقرب وجوه وصوله إلى أرض الحرم أن هاجت غيرة سارة' فأخرجت من بيتها هاجر وابنها إسماعيل، فأسكنها إبراهيم فى أرض قفر فأنبع الله هناك عينا' وألهم فى قلوب أقوام أن يسكنوه، فانتظم بذلك أمر الحرم وألهم فى قلب إبراهيم عليه السلام أن يبنى بيت الله، وعلّمه المناسك، فنظم الله أمر إسماعيل، وجعله سادن بيته.

وأما إسحاق فبشرالله به إبراهيم عليه السلام، وأهاج فى سارة شبابها، وأعاد إليها حيضها فولدت إسحاق عليه السلام.

لما كان إبراهيم عليه السلام إمام الفطرة' وتجرد إلى الله بفطرته عدّ من الملائكة المقربين، ونودى من كوة إمام نوع الإنسان فلذلك صرّح بإبطال النجوم والمجوسية والشرك، وكان حنيفا.

فداء الولد إعلم أن لله تعالى ألسنة شتى' فكلّم إبراهيم عليه السلام بلسانين: أحدهما لسان تجوز والثانى لسان حقيقة. فكلّمه بلسان التجوز أن اذبح ابنك أى كبشا سابغا يكون أكرم الأشياء على صاحبه كرامة الولد على والده. فلما انقاد حصلت له واقعة عظيمة شارحة، وفداه الله بذبح عظيم' وكلّمه الله بلسان حقيقة فقال: قد صدّقت الرويا. يعنى أتيت بتعبير الرؤيا وإنما هو ذبح الكبش.

لوط عليه السلام

وكان لوط عليه السلام ممن تأدّب على إبراهيم عليه السلام وابن أخيه، ومشايعا له فى رحلته إلى فلسطين كما أخبر الله تعالى به فى سورة العنكبوت: (فآمن له لوط، وقال إنى مهاجر إلى ربى إنه هو العزيز الحكيم) وكان هنالك أقوام غلبت عليهم قلة الحياء، والتحقوا فى استيفاء اللذات الجسمانية بالبهائم، وكان من حكمة الله أن ينذرهم قبل أن يصيبهم جزاء فأوحى الله إلى إبراهيم عليه السلام أن يقوم بالإنذار ولو برجل من أقربائه، فأرسل لوطا عليه السلام فوعظهم وأنذرهم فلم ينفع فيهم شيئا، فانتظرت الحكمة أسبابا سماوية وأرضية تعدّ لواقعة جوية يعذبون بها، فلما جاء أمر الله تمثلت الملائكة، وجاؤا إلى إبراهيم عليه السلام لأنه هو الأصل فى الإنذار فأضافهم، فلما رأى أيديهم لا تصل إلى ماقرب إليهم أوجس منهم خيفة حتى وضح أنهم ملائكة، وأخبروه عن عزيمتهم، ثم ذهبوا إلى قرية لوط عليه السلام وهى سدوم فى دائرة الأردن. وأهله ذوى أخلاق رديئة يأتون المعاصى على رؤس الأشهاد كما قال الله تعالى على لسان لوط عليه السلام وهو يعظهم وينهاهم (وتأتون فى ناديكم المنكر) فلما نزل الملائكة عليه جاءه قومه يريدون الفساد فأعمى الله أبصارهم فى ضمن دور وعجلة فى معاركة لوط عليه السلام حين أخرج الملائكة لوطا وعياله وأمروهم أن لا يلتفتوا إلى ماخلفهم. والحكمة فى هذا الأمر أن الأرض طوى لهم فأمروا بعدم الالتفات لئلا يستكثروا السير وتشتت عزيمتهم، ثم نزل العذاب برجفة شديدة من الأرض، وانعقاد مادة المطر، والرياح والبرد حجارة من سجيل.

يوسف عليه السلام ظاهر القصة يشتمل على رؤياه فى المنام وعلى أنه كان أثيرا عند أبيه، وحسد إخوته له، وإيقاعه فى الجب، ووصوله إلى مصر وسجنه، وكل هذا بلاء ومصيبة وهجر من والده ولكن عند المؤلف فى حادثته عنايات من ربه كثيرة.

منها أن يوسف عليه السلام كان زكيا فظهر له فى رؤياه ماينعم الله عليه فى آخر أمره من جعله مطاعا فى خلق الله وملكا. فالإنسان يحصل له علم بلاكسب ونظر منه بواسطة الرؤيا، ويتعلق ذلك بانقلاب يحديث فى العالم ويكون هذا الرجل الذى علم بواسطة الرؤيا كالجارحة لإتمام ذلك الانقلاب هذا هو معنى النبوة. وهذه عناية عظيمة له.

يقول شيخنا العلامة عبيدالله السندى: بيت إبراهيم كان مستعد الإحداث الانقلابات فى العالم، ومتقدما خطوة خطوة إلى حصول تلك الدرجة. فبيت إسحاق وبيت يعقوب قد تقدما فى العمل، فإنه تاتى نبوة موسى ثم خلافة داود وسليمان، ولذلك يجب فعل ذلك أن يكون فى هذا البيت رتبة ودرجة من العلوم السياسية.

ومنها أن إخوته لما رأوه أثيرا عندأبيه حسدوا عليه، وتشاوروا فى قتله ولكن الله تعالى أجرى على لسان رجل منهم أن لاتقتلوا يوسف وألقوه فى غيابة الجب، فجعل قتله إلقاء فى الجب.

ومنها أنه ألقى فى قلوب السيارة أن يرسلوا واردهم إلى الجب، فعثر على يوسف ورغب فيه ظنامنه أنه بضاعة.

ومنها أنه ألقى الله فى قلب العزيز لما اشتراه أن يوصى به امرأته خيرا، وفى قلبها أن تستوصى خيرا، عصى أن تتخذه ولدا. والحق أنه مراد الحق فيه أن يسبغ نعمته قبل النعمة الكبرى.

Marfat.com

ومنها أنه لما راودته المرأة عن نفسه وهو شاب قوى المزاج فهمّت به وهم بها أظهر الله له برهانا عظيما فهاج من قلبه داعى عصمته فأبطل داعى مزاجه وإن قويت فمثل له فى خياله أبوه الذى كان يعتقده فيه أنه من شعائر الله وأنه داعى الحق، ناهيا من فعله.

وتوضيح ما قال المؤلف الإمام من تفسير البرهان العظيم أن البرهان الذى رآه يوسف عليه السلام هو تصوره حضوره بين يدى الرب، لأنه كان محسنا فتجلى الرب فى تجل مثلا رأى صورة أبيه ورأى فى قلبه التجلى الإلٰهى.

يقول شيخى العلامة عبيدالله السندى إنه قد تخبّط المفسرون فى هذه الآية وليس فى الآية الا (ولقد همت به) فقط. وأما فجملة (وهم بها. لولا أن رأى برهان ربه) تدل على أنه لولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها، وإن كان بعض النحاة لا يجوزون وقوع جواب لولا قبلها، ونحن لا نتقيد بمذهب نحو خاص فى بيان معانى القرآن، بل ولا نحتاج إليه أصلا. اه.

قلت: ذكر العلامة الشريف فى أماليه المطبوعة أن جواب لولا يتقدم عليه، وقد ذكر لذلك شاهدا ببيت جاهلى. من أراد الإطلاع على ذلك فليرجع إليها. وذكر العلامة الشوكانى أيضا فى تفسيره أن أبا عبيدة يقول بذلك أيضا.

ايوب عليه السلام

ذكر اسمه فى القرآن الكريم أربع مرات، وله سفر خاص فى العهد القديم. ذكر المؤلف الإمام له أولا حالة الرفاهية والعبادة أولا وكونه نبيا إلى قومه يدعوهم إلى الملة الحنيفية. وذكر ثانيا ابتلائه بمصائب

وخلاصه منها، وثالثا قصة جراد الذهب ورابعا قصة نذره.
والظاهر من سوق كلام المؤلف أن ابتلائه كان بعد النبوة وأنه كان يدعو قومه إلى الملة الحنيفية. وهذا على رأى أن أيوب عليه السلام جاء بعد إبراهيم عليه السلام وفيه قول آخر أيضا وهو أنه كان قبل إبراهيم عليه السلام بأكثر من مائة سنة.(۱) ويعلم من قوله: "فلما جاء انقضاء بلائه أفاض الله عليه نعمه وقيل له اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب. أما الركض فعناية من الأسباب بالأسباب الأرضية فأنبع عينا من خاصيتها إزالة الجذام فاستعمله اغتسالا وشربا وعاد إليه شبابه" أن هذه العين كانت واحدة استعملها اغتسالا وشربا، فلا حاجة إلى ما ذكره الحافظ ابن كثير من أمر الله له لضرب الأرض مرتين مرة فى مكان ومرة فى مكان آخر فنبعت له عينان(۲).
أما قصة جراد الذهب فما وردت فى القرآن الحكيم، بل فى الحديث.
قال الإمام أحمد حدثنا عبدالرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "بينما أيوب يغتسل عريانا خرّ عليه جراد من ذهب فجعل أيوب عليه الصلوة والسلام يحثو فى ثوبه فناداه ربه عزوجل يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى قال عليه الصلاة والسلام بلى يا رب ولكن لاغنى بى عن بركتك" انفرد بإخراجه البخارى من حديث عبدالرزاق به.
أما قصة النذر فوردت فى سورة ص من القران الكريم بقوله جلت عظمته (خذ بيدك ضغثا فاضرب به ولاتحنث) فلم يذكر الله تعالى وجه غضب أيوب على زوجته، وذكر الحافظ ابن كثير رح فى تفسير الآية

(۱) راجع قصص الأنبياء للنجار. (۲) راجع تفسير ابن كثير ج ٤ص ۳۹

المذكورة: وذلك أن أيوب عليه السلام كان قد غضب على زوجته ووجد عليها فى أمر فعلته. قيل باعت صفيرتها بخبز فأطعمته إياه فلامها على ذلك وحلف إن شفاه الله تعالى ليضربنها مائة جلدة، وقيل لغير ذلك من الأسباب اه. قلت: الأولى فى مثل تلك المواضع السكوت. يقول المؤلف: كان الله نظر إليه نظر رحمة فاكتفى من إيفاء نذره على صورة النذر دون المعنى، وكذلك فعله تعالى بالمحبوبين من عباده. اه. وفى تفسير الحافظ ابن كثير: وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله تعالى وأناب إليه ولهذا قال جل وعلا (إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أوّاب).

شعيب عليه السلام

كان أهل مدين من قوم شعيب السلام فى عيش رغد، نسوا الإيمان بالله وباليوم الآخر، وظلموا الناس حقوقهم فكانوا يطففون المكيال والميزان فبعث الله فيهم شعيبا رسولا فدعاهم إلى عبادة الله وحده، وأمرهم بالعدل فى جميع الأمور، وذكّرهم نعمة الله عليهم ولكنهم كذبوه ونسبوا إليه السحر. ولما لم ينفع إنذاره فيهم شيئا انتظرت الحكمة، حتى إذا احتبس عنهم المطر مدة طويلة، واحتبست مواد الأرض، واشتد الحر جاء أمر الله فهب عليهم، ثم بورك فى تلك الرياح فصارت نارا، وصيح بهم فأهلكوا.

موسى و هارون عليهما السلام

ذكر المؤلف فى هذا التاويل أولا تكبر فرعون على الله، وعلى شعائره، ودعوى كونه إلٰها، وإفساده فى الأرض، والتعلى على بنى إسرائيل بقتل

أبناءهم والاستخفاف بهم، ثم لما تضرعوا إلى الله أراد الله أن يعذب فرعون وقومه، ويمنّ على هؤلاء المستضعفين، وذكر ثانيا قضاء الله تعالى (بتخليق رجل عظيم من بنى إسرائيل يكون هلاك فرعون وقومه ونجاة بنى إسرائيل على يديه، وذكر بعد هذا عنايات الله تعالى به فى ابتداء أمره إلى بلوغه أشده، وقصة توجهه تلقاء مدين ورجوعه إلى مصر حبا لقومه فى ظاهر الأمر؛ والأصل أن قضاء الله وعنايته كانت قاضية فى كل هذه الأمور من التدبيرات ليقضى الله تعالى ماشاء من أمر رسالة موسى عليه السلام ونجاة بنى إسرائيل على يديه.

أما النار التى رآها موسى عليه السلام فى الوادى فهى عندالمؤلف لم تكن من قبل العناصر بل من عالم المثال فكلّمه الله تعالى شفاها فى تلك النار على لسان الملأالأعلى.

وأما معجزة العصا واليد البيضاء فالتحقيق فيها عندالمؤلف الإمام أن عالم المثال قديظهر فى جسم طبيعى فيحصل له حكم المثال، ويغلب عليه الكون المثالى فصار عصا ناسوتيا مثاليا، وصارت شعبتاها لحى الثعبان، وكذا اليد كانت فيها لمعة فصارت بعينها نورا.

أما قصة الطعن بالأدرة فلاتعلق له بآية سورة الأحزاب: يا أيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين آذوا موسٰى فبرأه الله مما قالوا (٦٩) والإمام البخارى رح إنما أورد هذه القصة تحت تلك الآية جريا على دابه فى كتاب التفسير بإيراد حديث لمناسبة ما. والخطاب فى هذه الآية للجماعة المركزية. وهى عبارة عن السابقين من المهاجرين والأنصار ومركز المركز هو النبى (ﷺ) فالجماعة المركزية تجب أن تكون منقادة لإمامه. قدجاء فى سورة المائدة: وإذ قال موسٰى لقومه يٰقوم اذكروا

نعمة الله عليكم، وفى سورة الصف: وإذ قال موسىٰ لقومه يٰقوم لم تؤذوننى (الآية). فبملاحظة تلك الآيات يعلم أن آية سورة الأحزاب لاتعلق لها بقصة الطعن.

ففى هذه الآية خطاب لأصحاب النبى (ﷺ) بأن لا يكونوا كأصحاب موسىٰ عليه السلام حيث خالفوا أمره فى مواقع كثيرة وخاصة حين ما أرسلهم عيونا فاتهموه بأن يرسلهم موسىٰ عليه السلام لأن يُقتلوا فذهب يوشع وزميله عيونا فرجعا سالمين وبرأه الله مما قالوا. هذه القصة قد وردت فى التوراة أيضا.

• يقول المؤلف: لما رأى موسىٰ عليه السلام أن العناية توجهت إليه وأنه قد حصل له تشبه قوى بالملأ الأعلى سأل الله أن يريه. وتصوير هذه الروية عندالمؤلف أن تحدق النفس الكلية فى طائفة من العنصر الخامس وتتصوره فيه جسما نورانيا يحاكى مبلغ معرفة موسىٰ عليه السلام بربه.

وما صدر هذا من موسىٰ عليه السلام الإ لمعرفته بتصرفات النفس الأولى. وطلب قوم موسىٰ عليه السلام ما طلب موسىٰ عليه السلام لانعكاس حالة شوقية إلى مظاهر النفس الكلية منه فى قلوبهم فتجلى الحق فى صورة صاعقة فأتلفهم.

أما زاد بنى إسرائيل فى التيه بالمن والسلوى فكان بدعاء موسىٰ عليه السلام فرزقهم الله هذا الرزق بقبض الأسباب وبسطها، وجعل لهم سحابا غليظة شبه الظلة تقيهم الشمس.

وتاويل نبع الماء من الحجر عندالمصنف أن موسىٰ عليه السلام يلهم

فى قلبه فيضرب فى حجر هو أقرب الأحجار استعدادا لنبوع الماء فينصدع ويخرج منه الماء وهكذا يذكر المؤلف الامام فى سائر قصة موسى عليه السلام الحِكم والأسباب العادية للخوارق.

شمويل عليه السلام

يذكر المؤلف الإمام تحت هذا التأويل أولا تغلب جالوت على بنى إسرائيل، وسلب التابوت منهم وإلحاء بنى إسرائيل على نبيه شمويل عليه السلام فى أن يقيم عليهم ملكا لإقامة مصالح الملك ومقاتلة الأعداء، فعرّفهم بأن الله قدعيّن لهم طالوت ملكا، وطعنوا فيه فكشف النبى شمويل شبهتهم، فلم ينفعهم فأظهر الله لهم آية ليطمئنون بها، وهى إتيان التابوت إليهم وذكر كيفية وصوله بأن الأعداء ابتلوا بالمصائب من القحط والمشاجرة فيما بينم فألهموا من الملائكة أنهم إنما ابتلوا لأجل التابوت، فلم يزالوا ينحونه حتى أوصلوه إلى مايلى ديار بنى إسرائيل فحملوه.

قلت: قد ورد فى العهد القديم مثل هذا: ذكر فى سفر صمويل (شمويل) أن الفلسطينين كانوا يجدون الٰهم "داجون" ملقى عن مكانه فى كل ليلة، وسلط الله عليهم الفيران فأفسدت عليهم حاصلاتهم، وخرجت لهم البواسير، وعلموا أن ذلك من وجود التابوت عندهم الخ.

وذكر المؤلف بعد هذا قصة طالوت وجنده وعبرهم النهر ونهيهم عن شرب مائه الإ غرفة واحدة. يقول المؤلف: إن الله تعالى نفث فى هذه الحادثة بركة فلم تنبعث داعية الانقياد إلا للكامل شجاعة وانقيادا فعرف طالوت أهل الشجاعة والانقياد منهم.

داود عليه السلام

إن الله تعالى أراد بداود أن يكون له لسان صدق، ويتولى الملك فسهل له التدبير حيث أنطق الحجارة. ومعنى نطق الحجر عند المؤلف الكشف عن أمرها لما مشى عليها كأنه يسمع منها أنها آلة قتل جالوت ثم ألقى الله الاضطراب حتى شرط لقاتل جالوت نصف الملك وتزويج ابنته، ثم جعل الله يد داود محاذية لمناخر جالوت، وأمر الريح أن يحمل الحجارة إليها، فأهلك جالوت بهذا التدبير، وقضى ما أراد الله من نصرة بنى إسرائيل، وذكر بعد هذا تسهيل الله القراءة على داود وذكر كيفيته، وذكر أيضا قصة معاشقته بامرأة جملية. وأنا قد ذكرت فى هامش تلك العبارة أن المؤلف الإمام ذكرها موافقا لما فى بعض التفاسير والتحقيق خلاف ذلك، فراجعه.

أما قصة اعتداء بنى إسرائيل فى السبت زمن داود عليه السلام ومسخهم قردة فذكر المؤلف تأويله بأن الله جعل السمك فاسد المزاج فلما أكلوها سرى سوء المزاج فيهم وتغيرت أبدانهم، ونبت الشعر، وألقى عليهم الصغار والهوان.

سليمان عليه السلام

لما رغب داود عليه السلام إلى الله تعالى فى ولد يخلفه فاستجاب دعاءه فوهبه سليمان عليه السلام، وكان ذكيا، دينا، حكيما فصار شريكا لداود عليه السلام فى فصل القضايا المشكلة. المؤلف الإمام ذكر بعد هذا قصة استهلاك الزرع، وتفهيم الله سليمان عليه السلام ما هو

الخير النسبى فى تلك الواقعة، ثم ذكر تحقيق ما أوتى سليمان منطق الطير وقال: ربما علم الله بعض أهل المعرفة أيضا شيئا من ذلك، ولهذه الأمور أسباب جزئية لاتضبط. وذكر تحت تسخير الريح والجن له: أن الأصل فى وجود الريح والنار وغيرهما قيومية الحق للماء الذى هو العنصر الأول. والعبد الكامل ربما كان له مناسبة ببعض تلك القيوميات وسليمان عليه السلام كان له مناسبة بقيومية الريح والنار، وكان لنفسه همة قوية تسخر الشيء فبورك فيها بتلك المناسبة فسخر الشياطين، يبنون له مايشاء من محاريب وتماثيل، وكان يجلس على سريره ثم يأمر الريح فتحمله إلى حيث شاء، ذكر المؤلف فى آخر أحوال سليمان عليه السلام قصة عرش بلقيس، وكيفية رفعه بأن الله خلع عرش بلقيس عن أحكام عالم الشهادة وأعطى له حكم المثال، ثم ألبسه حكم الناسوت والشهادة فى هذا المكان لدعوة عبد صالح من أصحاب سليمان عليه السلام. أما قصة رؤية سليمان ساق بلقيس وجمالها فهى قصة إسرائيلية كتبها موافقا لما فى أكثر التفاسير والله أعلم.

يونس عليه السلام

ذكرت قصة يونس عليه السلام فى سورة الأنبياء والصافات، وقد ذكر المؤلف الإمام فى قصته بأن قوما بنينوى طغوا وبغوا فكانت حكمة الله أن يأمر أشعيا عليه السلام نبى ذلك الزمان أن يقوم بالإنذار ولو بواسطة رجل من شيعته، فبعث يونس للرسالة، فجبن عن مقاومة الجبابرة، وكره أمر النبى كراهة طبيعية لاكراهة عقل. انتهى ملخصا.

قلت: ظاهر هذه العبارة تدل على أن هذه الواقعة كانت قبل نبوته والمسئلة اختلافية. ولوكانت عقيب نبوته فلا إشكال أيضا لأن تلك الكراهة كانت طبيعية لاعقلية.

أما قصة فرقة امرأته في الطريق، وذهاب الموج بولده، وسلب الذئب بولده آخر فلم أقف عليها في الكتب المعتبرة، وكذا ما ذكره المؤلف من قصة مروره على قوم يجتنون ثمارهم، وقصة كسر فخار مضيفه لم أقف عليها أيضا. وأما قصة حزن يونس عليه السلام على يبس اليقطينة وتنبيه الله تعالى له عليه فذكرت في التورات: لما مضت الأربعون لم يحصل لأهل نينوى شيء مما أنذروا به فاغتم يونان (يونس) لأن وعيده لم يتحقق فخرج من المدينة، واتخذ لنفسه كنّا يكون فيه فأنبت الله عليه يقطينة فأسرعت في النمو وأظلت كنه بأوراقها ففرح بها، وفي اليوم الثاني سلّط الله عليها دودة فأكلت أصلها، وهبت عليها ريح حارة فجففتها، فاغتاظ يونان (يونس) فقال الله: أشفقت على اليقطينة التي لم تتعب فيها ولاربّيتها أفلا أشفق أنا على نينوى المدينة العظيمة. اه ملخصا.

زكريا ومريم ويحيى وعيسى عليهم السلام

ذكر المؤلف تحت هذا التأويل أولا قصة زوال عقم حنّة أم مريم بأنها لما رأت الحمامة تزق الفرخ حنّت إلى الولد أشد تحنن، وألقى في قلبها رغبة في الولد الذكر فأثرت متخيلتها وتأكد عزيمتها تأثيرا ما في الجنين فصارت مريم مباركة فيها مزاج من أمزجة الفحول، فلما وضعتها أنثى تفجعت إلى الله إذ لم يكن المحرر إلا الغلمان، ولكن تقبل الله،

مریم لأنها مبارکة مذکرة، فألقى فى قلب زکریا وسائرالسدنة القبول وإن خالف الرسم، وجعل کفیلها زکریا علیه السلام لأن امرأته کانت خالة مریم السیدة' ثم ذکر المؤلف الإمام ظهور الآیات على مریم وخلق الفواکه لها وقال بأن خلق الفواکه کان بقول کن من غیر سبب عنصری کالذى یخلقه الله فى الجنة' وذکر رغبة زکریا علیه‌السلام فى ولد بأنه لما عرف من خلق الفواکه بأن لقوى الروحانیات ظهورا عجیبا فى تلك الأیام وأن التکوین لا یتوقف على سبب عنصری کما کان عند خلق آدم فرغب إلى‌الله رغبة عظیمة فى ولد فأجاب‌الله دعائه وأزال عقم امرأته فتولد یحیى علیه‌السلام حکیما حصورا لم یکن یصل إلى النساء لأن کل شیء لم ینعقد علیه الأسباب الأرضیة یکون فیه ضعف بحسب الأخلاق الحیوانیة، ویکون محروما من مرافق الدنیا، فکان زهد یحیى وعیسى علیهما السلام من هذا القبیل.

ثم ذکر قصة حبل مریم السیدة کما وردت فى‌القرآن الحکیم فى سورة مریم (۱٦-۲۳) وذکر أیضا بأنها لما قال لها جبرئیل علیه السلام أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زکیا ابتهجت فأنزلت' وکان فى منیها قوة منى الذکر فحملت' ولما ولدت أظهر الله علیها الآیات کما جاءت قصتها فى‌القرآن الکریم.

أما إحیاء‌الموتى بإذن الله فتصویره عند‌المؤلف أن النفس المتعلقة بالجسد تعلق الوهم لا تعلق الحیوة تبارك الله علیها عند دعوة عیسى علیه السلام وانعکاس الحیوة منه فینقلب المیت حیا ثم إذا فارقه عیسى علیه‌السلام مات فى‌الحال.

نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

ذكر المؤلف تحت هذا التأويل أولا أصول علم النبى (ﷺ) وكمالاته. ومدار أكثرها عندالمؤلف على الخلّة التى كانت بين النبى (ﷺ) وبين الملأ الأعلى. فالنبى (ﷺ) كانت نفسه الناطقة عالية، ومزاجه النسمى كاملا معتدلا لاسبيل إليه للأخلاق الرذيلة، ولم يكن مقتضى مزاجه مصادما لمقتضى نفسه الناطقة فأوجب هذا كله التائيد من الملأ الأعلى. ومن جهة هذه الخلة كان أكثر معجزاته حصول البركة فى طعام وشراب بتائيد الملأ الأعلى ومن جهتها أيضا شق صدره (ﷺ) وملىء حكمة وإيمانا، وأسرى به إلى بيت المقدس وعرج إلى السماوات ثم إلى ماشاء الله، وخلص إلى صورة الحق فى قلب إمام نوع الإنسان.

وذكر ثانيا أن الله تعالى رزق نبيه فطنة يعرف بها الارتفاقات، فعرف المصالح وخلقه الله رحمة لعباده من العرب والعجم.

وذكر أيضا أن من أصول علومه استعداد نفسه القدسية لأن ينكشف عليها الحوادث الماضية والآتية وذكر فى آخر هذا المبحث أن كل من يلحق بالملأ الأعلى ينطبع فى لوح نفسه من الوقائع العظيمة ما يناسب جذر مزاجه المطابق الواقع. ولما كانت نفسه القدسية انطوى فيها رياسة العالم وإمامة الملة. استوجبت أن ينطبع فيها من قصص السابقين ووقائع القيامة وغيرها، وجرى هذا المبحث إلى ختام الكتاب وذكر فيه مسألة شق القمر، والمؤلف الإمام لاينكر حقيته ولايعدّه أيضا عبارة عن ترائيه هكذا للأنظار فلاتصغ إلى قول من عدّه من إغرابات المؤلف. وقد ذكرت بعض التفصيل فى تقدمة اللمحات فراجعها. هذاما تيسرلى فى تحليل الكتاب، وهو الملهم للصواب وإليه المرجع والمآب.

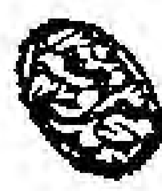
نسخ الكتاب

عند التحقيق كانت عندي نسختان من تاويل الأحاديث، أولهما النسخة المطبوعة قديما في المطبع الأحمدي المتعلق بالمدرسة العزيزية بدهلي طبعت باهتمام الشيخ ظهير الدين السيد أحمد ولي اللٰهي سبط الشاه رفيع الدين الدهلوي ابن المؤلف الإمام، والنسخة الثانية مخطوطة بخط جيد. وميزة هذه النسخة أن كاتبها هو العلامة الحافظ الحاج عبدالمجيد محمد نوشه، ابن مولانا نورنبي الغوري التونكي، وكان تلميذ الشيخ العلام بهادر علي التونكي، وهو من أرشد تلامذة سراج الهند الشاه عبدالعزيز المحدث الدهلوي ابن المؤلف الإمام.

والحافظ عبدالمجيد أقام في الحجاز مدة مديدة واستفاد من أعلامه وكان من كبار علماء الهند، ولفضله وكماله صار ختنا لنواب التونك ولقب بمحمد نوشه. هذه النسخة كانت مملوكة للعلامة المحقق محمد عبدالله العمر فوري الاستاذ سابقا في الجامعة العباسية (بهاولفور) وحصلت له هذه النسخة من حفيد الناسخ: المولى عبدالعزيز ابن المولى فيض احمد ابن الناسخ الحافظ عبدالمجيد محمد نوشه.

قلت: كتب على حاشية الصفحة الأولى بخط الناسخ تاريخ النسخ هكذا: نسخه هذا مسمى بتاويل الأحاديث تمام شد بتاريخ ٣ ماه ذي الحجة يوم الجمعة بيد اضعف العباد حافظ محمد نوشه عفي عنه سنه ١٢٥٢ هجري قدسي. وهذه النسخة صحيحة على الغالب إلا أنني لاحظت أحيانا أن هناك تصحيفات قليلة فاعتمدت في الطبع على هاتين النسختين معا، وأتيت في أسفل الصفحات في الهامش ما وجدت

قوله تعالى ويعلمك من تأويل الأحاديث



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بعث الأنبياء بصفو الأمر وشاده، وأودع صدورهم كنوز العلم معارف ذاته وأسمائه وأسرار إيجاده، وأنطق ألسنتهم بما يتهذب به من سلم نظم فطرته من أفراده وفساده، وتقوم به الحجة على من لج بإنكار الحق وجحوده وعناده، ثم صرف أحوالهم في أطوار القرب والإبعاد، وأظهر عليهم نوادر الوقائع بإقداره وإعداده، فكم من بركة سرت لأمتهم رحمة وأمدتهم بإمداده، وكم من عذاب خفف عليهم ليربط على قلوبهم في إنزاله وإيراده، وكم من معجزات ظهرت ليهلك عن بينة بأشقاه ويحيى من حي عن بينة بإسعاده، وكم من كيد للأعداء رده في نحورهم عند قمع الكفر وجهاده، وكم من عدو قصمته دعوتهم المستجابة حتى أدخلته في قبره وإلحاده، وكم من رؤيا تمثل لهم فيها أسرار البرزخ والحشر وسائر ما يرد على الإنسان في معاده، وكم من واقعة تشبحت فيها أسرار الملكوت والجبروت فاطلعوا منها على مراده، وجعل في كل واقعة من ذلك سرا لا يتبينه إلا من اصطفاه الله من عباده ممن علمهم تأويل الأحاديث وشرح صدورهم بطارف العلم وتلاده، فسبحان من يهب ما يشاء لمن يشاء من علمه وعتاده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تؤدي حق الله على عباده، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي آدم ومن دونه تحت لوائه عند تفرقهم الخطب واشتداده، أما بعد فيقول العبد

عكس الصفحة الأولى لنسخة تأويل الأحاديث الخطية المحفوظة فى خزانة الكتب للعلامة عبدالله العمر فورى.

من الاختلاف أو الزيادات بالمقابلة بينهما، وميزت زيادات المخطوطة بالقوسين هكذا( ) فالنسخة المطبوعة مشار إليها بالحرف "م" والمخطوطة مرموز إليها بالحرف "خ" فحصلت بالمقابلة نسخة صحيحة بعون الله تعالى.

و فى الختام أشكر بصميم قلبى العلامة محمد عبدالله العمر فورى حيث تفضّل بإعطاء تلك النسخة المخطوطة للاستفادة وأشكر أيضا الأستاذ الدكتور عبدالواحد هاليبوتا ـ ايم ـ اے بومبائى، دى۔ فل (أكسن) رئيس الشعبة الإسلامية بجامعة السند على ما أشارنى فى نهج التحقيق وتحرير التقدمة. وليكن هذا آخر ما أردنا إيراده فى التقدمة، والمرجو من الكل أن لا ينسونى من الدعوات الصالحة، والله ولى الإعانة فى البداية والنهاية.

كتبه أفقر العباد إلى الله تعالى أبوسعيد غلام مصطفى القاسمى ابن الحافظ الحاج محمود السندى غفرالله له ولوالديه ومشائخه أجمعين ٥ شوال المكرم ١٣٨٥ هـ يطابق ٢٧ يناير ١٩٦٦ م.

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى بعث الأنبياء بصفو الأمر، ورشاده. وأودع صدورهم كنوز العلم من معارف ذاته، وأسمائه، وأسرار إيجاده. وأنطق ألسنتهم بما يتهذب به من سَلِم نَظْمُ فطرته من إقوائه، (١) وسناده. وتقوم به الحجة على من لَجَّ بإنكار الحق، وجحوده، وعناده ثم صرف أحوالهم فى أغوار القرب وأنجاده. وأظهر عليهم نوادر الوقائع بأقداره وإعداده. فكم من بركة سرت لما غشيتهم رحمته. وأمدهم بإمداده. وكم من عناء خففه عليهم ليربط على قلوبهم فى إنزاله وإيراده. وكم من معجزة ظهرت ليهلك من هلك عن بينة بإشقائه. ويحيي من حى عن بينة بإسعاده. وكم من كيد الأعداء رده فى نحورهم عند قمع الكفر وجهاده. وكم من عدو قصمتهم (٢) دعوتهم المستجابة حتى أدخلته فى قبره وألحاده. وكم من رؤيا تمثل لهم فيها أسرار البرزخ والحشر، وسائر ما يرد على الإنسان فى معاده. وكم من واقعة تشبحت فيها أسرار الملكوت، والجبروت فاطلعوا منها على مراده. وجعل

---

(١) الاقواء: هو اختلاف الأبيات فيما بينها فى حركة الروى. والروى آخر الحروف الأصلية من البيت. السناد: اختلافها فيما بينها فى الاشباع. والاشباع حركة الدخيل. والدخيل: هو حرف المدة الواقع بين الروى والألف، مثل الهمزة فى ودائع إذا جعلت قافية. منه رح. من النسخة الخطية.

(٢) كذا فى الأصل. وفى المطبوعة: "قصمته". بالإفراد.

فى كل واقعة من ذلك سرا لايتبينه الا من اصطفاه الله من عباده ممن علمهم تاويل الأحاديث. وشرح صدورهم بطارد علم، وتلاده. فسبحان من يهب مايشاء لمن يشاء من عامه، وعتاده. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له شهادة تؤدى حق الله على عباده. وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى آدم ومن دونه تحت لوائه عند تفاقم الخطب (١) واشتداده.

أما بعد فيقول العبد الضعيف المحتاج الى رحمة ربه الكريم احمد المدعو بولى الله بن عبدالرحيم كان الله لهما فى الأولى والأخرى: هذه عيون نبعت من علم تاويل الأحاديث. وغصون نبغت من دوحة سر المواريث. يغتنمها من يعرفها. وينتفع بها من يحل رموزها، ويكشفها. سميتها بتاويل الأحاديث، (٢) ليكون العنوان مكشافا لنوع ذلك الغطاء الأثيث. والحمد لله حمدا كثيرا طيبا لايحصره حد. ولا يحصيه عد.

(١) قلت: كذا فى النسخة المطبوعة. وتفاقم الأمر: بمعنى عظم. وفى الخطية: "تفرقهم" مكان "تفاقم" لعله من سهو الناسخ.

(٢) يقول المؤلف الامام: من العلوم الوهبية فى علم التفسير التى أشرنا اليها تاويل قصص الأنبياء عليهم السلام. وللفقير فى هذا الفن رسالة مسماة بتاويل الأحاديث. والمراد من التاويل: هو أن يكون لكل قصة وقعت مبدأ من استعداد الرسول وقومه، ومن التدبير الذى أراد الله سبحانه وتعالى فى ذلك الوقت. وكأنه اشار الى هذا المعنى فى آية "ويعلمك من تاويل الأحاديث". راجع الفوز الكبير تحت فائدة جليلة.

Marfat.com

Marfat.com

سببا. فلاجرم تمثل السبب عنده، فى هذه الرويا المنتظمة بإتيانه، و مباشرته وكذلك الله تعالى إذا أراد أن ينبهه على حقيقة إجمالية يجل طورها عن طورالحس فإنه ينبه عليها بقصة، أوكلام يكون مجموعها محاكيا لما أراده محاكاة المنام لتلك الواقعة المطلوبة. فمن ذلك التعبير عن علوالله، وعظمته برفعة الملوك، ونفاذ أمرهم فى المدينة. ومن ذلك قوله تعالى: "بل يداه مبسوطتان" (١) وكذا سائر المتشابهات (٢) كالضحك، وغيره. فلما أراد الله تعالى أن يعلمنا كونه تعالى جوادا نظر إلى صورة الجود فى الرويا. وهى بسط الدين فكلمنا به. ولما أراد أن يعلمنا كونه مدبرالسموات، والأرض نظر إلى صورة التدبر (٣) فى المثال. وهى (٤) رفعة الملوك فى محل سلطانهم. فكلمنا به. وليس بناء كلامه على العلاقات المذكورة فى علم البيان، وإن تحققت فى بعض الصور. والله أعلم.

فأعنى بالتجوز الطبيعى (٥) محاكاة حادثة وواقعة منتظمة، (٦) أوكلام فى كناية، بسر اجمالى معنوى بالعلاقات التى تراعيها الطبيعة فى المنام إذا تلقت العلم الاجمالى وصوّرته بصورة.

واعلم أن الاحوال الطارية على نفوس الكمل، والواقعات،

---

(١) المائدة: آية ٦٥.
(٢) فى المطبوعة: "وأكثر المتشابهات" مكان "وكذا سائر المتشابهات"
(٣) كذا فى المطبوعة: وفى الخطية "التدبر".
(٤) فى الخطية: "هو" بضمير المذكر.
(٥) كذا فى الخطية. وفى المطبوعة: "الطبعى".
(٦) كذا فى المطبوعة. وفى الخطية: "محاكاة واقعة منتظمة" وترك لفظ "حادثة".

المنتظمة فى المثال تكميلا لهم(١) فإن حكمها حكم المنام. وكذلك الحوادث الواقعة فى العالم كلها منامات. ولها أصول، وأشباح.

أما الأصول، فمنها: ارادة الله فى عباده تدبيرا بالالهامات(٢) والاحالات، والتقريبات. فيتوجه الرحموت الى النظام الخير بالذات، والى وجود حادثة بالطبع. فيبعث لها الهاما، أو احالة وتقريبا فى عباده، فيصطفى من مجارى العادة ماهوأ قرب الأشياء يومئذ. فتظهر واقعة خارجية من صورة ظهور التقريب، والالهام تدريجا، وقبول الطبائع، والنفوس لها على ما يليق با ستعدادها. وتلك الواقعة شبح، و منام و ذلك التدبيرأصل و تعبير.

مثاله: أراد الله أن يجعل فى الأرض خليفة، فخلق آدم. وقدأحاطت به حقيقة مثالية يعبرعنها بالجنة فعومل بهمعاملةأهل الجنة(٣)وانسد باب كونه خليفة فى ألارض(٤) فظهرت التقريبات بتنبيه آدم عليه السلام، بحسب صفاء لوح نفسه أن أكله للشجرة (٥) حرام عليه لأنه يوديه

---

(١) فى الخطية: "تكملا".
(٢) فى الخطية: "بالهامات" بدون لام التعريف.
(٣) يعنى ان آدم عليه السلام وان كان أرضيا ولكن بكماله وسبوغه اكتسب بدنا أخرويا فأسكن فى الجنة. فشابه حينئذ المتجسد المثالى. راجع التفهيمات ج ٢ ص ١١٨ طبع المجلس العلمى.
(٤) لأن كل متجسد مثالى ليس له استقرار فى الأرض وآدم صار متجسدا مثاليا، وانما الاستقرار لصاحب التخليط فهذا عام حق. ولما تمنى آدم ذلك أى علم بالذوق داخله الشيطان فى ذلك. فمثل عنده التخليط بصورة المعصية فانبجس من صدره أنه لولا المعصية لم يحصل الاستقرار، فعصى آدم ربه الآية. راجع تف ج ٢ ص ١١٩
(٥) فى المطبوعة: "الشجرة" بدون لام الجارة.

الى الخروج من الجنة. فانعقد عليه هذا التنبيه وحيا موجبا وكان الشيطان بحقيقة الشرية مستعدا لإلقاء الوسواس فى قلب آدم عليه السلام. وطبيعة آدم عليه السلام صادقة الى أكلها فأكل فعوتب، وأخرج. وهذا كله منام ورؤياه (١)

تعبيره. أن الله أراد به أن يصير خليفة فى الأرض، ويبلغ الى كماله النوعى. أما نهيه عن الشجرة ثم إلقاء الوسواس من الشيطان، ثم معاتبته، وإخراجه فكله صورة التقريب بحسب خروجه من عالم المثال الى الناسوت تدريجا.

ومنها أن يكون نفس (٢) مستعدة فى أصل فطرتها لكمال، كتنبه بسر النهى، أو اتصال دائم بالملأ الأعلى، أو انصباغ بصبغ النهى (٣)، فيكون لها بحسب بلوغها أشدها، وظهور (٤) كمالها نظام معلوم، و فلتات (٥) من الطبيعة، والرسم، أو متلطخة بغواشى البدن. ويكون لها فلتات من هذه الغواشى فيتمثل لهذا الاتصال، والصبغ، أو للإنفلات فى بعض الأحيان واقعة منتظمة فى حواسه أو فى المثال. تعبيرها أحد تلك الأمور.

مثاله: وجد النبى صلى الله عليه وسلم فى ابتداء فطرته متصلا

(١) لم يوجد فى المطبوعة هنا سطر من: "ورؤيا" الى "خليفة فى الارض"
(٢) فى المطبوعة: "النفس" بلام التعريف.
(٣) فى المطبوعة: "أو انصباغ النهى" بدون لفظ "بصبغ".
(٤) فى الخطية: "وظهورها كمالها" لعله من سهو الناسخ.
(٥) جمع فَلْتة بمعنى الزلة والهفوة والضيق.

بالملكوت، شبيها بالملأ الأعلى (١)، طاهرا من ألواث (٢) فجعل يتكامل فطرته حينا فحينا. فظهر تارة فى صورة شق الصدر، و تارة فى صورة كلام جبرئيل وهو جالس بين السماء والأرض (٣) و تارة بأن يوزن هو مع سائر الناس فيرجح، و تارة بالمعراج.

وكذلك كان ابراهيم عليه السلام قوى النفس فى جانب الفطرة. فلما تكاملت فطرته ظهر خلقته فى صورة حادثة. وهى نظره فى النجوم، والقمر، والشمس، واستدلاله بالأفول على أنها ليست بالذى فطره. ألست ترى الغيور تظهر غيرته فى ضمن حادثة. فالخلق أصل، والحادثة شبح.

ومنها تخالف ألسنة الحق بحسب استعداد نفس من النفوس، فتسمع تارة من لسان خاص، وتارة من لسان عام، وتارة بما كانت الرحموت مريدة لهذه الحالة، وتارة بما كانت مريدة لتلك. ويكون السامع تارة النفس المنصبغة بهذه الحالة، وتارة بتلك فيتلقى فى كل حالة ماينا سبها

---

(١) الملكوت: ماقرب أمره الى الروحانية والملأ الأعلى هم أفاضل الملائكة و مقربوا الحضرة. ويعبر عنهم بالرفيق الأعلى، والندى الأعلى أيضا. وان شئت مزيد تحقيق الملأ الأعلى فراجع حجة الله البالغة ص ١٥ طبع المنيرية بمصر.

(٢) كذا فى الخطية. وفى المطبوعة: عن الألواث.

(٣) كما ذكره البخارى فى صحيحه تعليقا: قال ابن شهاب وأخبرنى أبو سلمة بن عبدالرحمن أن جابر بن عبدالله الأنصارى قال وهو يحدث عن فترة الوحى فقال فى حديثه: بينا أنا أمشى اذ سمعت صوتا من السماء، فرفعت بصرى فاذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والأرض الحديث. راجع الجامع الصحيح للبخارى، ص٣ ج١ طبع الحجر.

فينتظم لهذا السر، ولخروج النفس من القوة الى الفعل واقعة، وأمر ونهى، ومواخذة، ومعاتبة ونسخ، وافتداء وعفو.

مثاله: ايجاب خمسين صلوة فى المعراج. ثم قال فى الآخر: "لايبدل القول لدى" هى خمس وهى خمسون. فخمسون لسان تجوز، وخمس لسان حقيقة. والمراد فى تلتا الحالتين شئ واحد. ولكن كتم (١) الحقيقة أولا لحكمة أرادها.

ومثاله أيضا: كان يونس عليه السلام اكتسب بجمع الهمة على قتل قومه. ولما يبلغ اللعن الآلهى محله هيئة فاسدة. فلما توجه الى الله، وناجاه تنبه لتلك الهيئة. كمايرى أحدنا الرويا فيمثل «٢» له خطاب فى قصة افساد الثمار، والأوانى وغيرها، ثم أفاق وعلم أن المراد هو التنبيه (٣) على تلك الهيئة كما أن من استولى عليه البرودة على عضو من أعضائه فى المنام، يتخيل أنه غرق فى البحر، أو أصابه الثلج، والمطر. ومن استولى عليه القوة الغضبية تنبه لمصادمتها (٤) للقوة الملكية، يتخيل كأن أسدا يصول عليه. فهذه كلها تنبهات. لهيئات نفسه راسخة فيه بصورة محاكية حكاية طبيعية، وخوطب بها يونس ليكون بمنزلة أمثال تضرب له لاليكون ناموسا كليا.

واعلم أن الله تعالى اذا يظهر (٥) خارق عادة لتدبير، فانه انما

---

(١) فى المطبوعة: "كتم الله"

(٢) فى المطبوعة: "فتمثل"

«٣» كذا فى الخطية و فى المطبوعة: التنبه.

«٤» فى المطبوعة: "لمصادمته"

«٥» فى الخطية: "اذا اظهر"

يظهر في ضمن عادة ما (١) ولو ضعيفة كالرجل يمرض مرضا ضعيفا إذا رآه الحكيم الطبيعي لم يكترث به، ولم يظن أنه يموت، ولكن يظهر قضاء الله في ضمن ذلك المرض فيموت. فالخوارق أسباب ضعيفة كأنها وجدت مشايعة لنفاذ قضاء الله تعالى، وعنايته بالأسباب الأرضية لئلا يتخرق العادة من كل وجه. وفي القرآن والسنة إشارات تدل عليها، و في القصة إيماء وفحوى مما يعرفها العارف، بل كل لبيب منصف. قال النبي صلى الله عليه وسلم: إذا قضى الله تعالى لعبد أن يموت بأرض جعل الله له إليها حاجة. فإبداء الحاجة له رعاية لنظام الأفعال الإرادية لئلا ينخرم.

ونحن ان شاء الله تعالى نشير «٢» في كل حادثة إلى تعبيرها، ووجه خصوصية شبحها، وفي كل خارق إلى تلك الأسباب الضعيفة. فانتظر لإشاراتنا، و ترصد لها في ضمن سردنا القصة.

تاويل احاديث آدم و ادريس عليهما السلام

اجتمعت قوى أرواح السيارات في نا حية من الأرض، و طلب إمام نوع الإنسان «٣» من الله تعالى أن يظهر في الناسوت،

---

(١) في م: "في ضمن عادة" بدون "ما"

(٢) في م: "ونحن نشير ان شاء الله تعالى" بتقديم "نشير".

(٣) العالم كله عند المؤلف الإمام شخص واحد متغير في أحواله دائما و يتحرك حركة كيفية أبدا ويقال له الشخص الأكبر في مصطلحه. و تحته أئمة الأنواع المندمجة فيه كإمام نوع الإنسان وغيره من أئمة الأنواع. وهي صور مثالية. والناسوت عبارة عن العالم المشاهد المحسوس. والموجودات عند الأصفياء على أربع طبقات مترتبة: اللاهوت والجبروت والرحموت والناسوت ويقال عند الحكماء الآنية الأولى، والعقل، والنفس والهيولى.

واعتدلت «١» العناصر، ونعفنت تعفنا طيبا. فقضى الله تعالى بحسب هذه الأمور أن يخلق فى الأرض خليفة له. أى نوعا يكون «٢» فيه ارتفاقات وسيعة، وأخلاق كاملة يجتمع فيه قوة ملكية، وقوة بهيمية فيتولد منهما حالات إلهية، كالإحسان والمحبة، ويستحق أن يضرب عليه الشرع من فوقه حتى يكون عالما براسه نسخة من الرحموت محيطة «٣» بحقائق العالم بأسرها إجمالا، وكان هناك «٤» ملائكة يستحقون الإلهام بما سيقع. وهم العنصريون، والعملة الذين يعملون فى العناصر بإلهام الله. فتلقوا إلهاما أن الله سيخلق خليفة يكون من شانه كذا وكذا، وإنه يسفك الدم، ويفسد فى الأرض فيجازى فى الدنيا والآخرة. فاشتبهت عليهم الحكمة فى خلقه. فإنهم لا يعلمون إلا ما ألهموا فاقتضت حكمة الله وعنايته بحسب أولئك الأشخاص أن يعلمهم ماجهلوا.

---

(١) فى م: واعتدل.

(٢) قلت: لايقصد الشيخ ابن عربى أيضا فى فصوص الحكم بآدم هنا آدم أبوالبشر، وإنما الجنس البشرى برمته: الإنسان من حيث هو انسان أوالحقيقة الإنسانية كما صرح به الدكتور العفيفى ويقول مؤيدا: يدل على ذلك مايورده المؤلف عن النشأة الإنسانية وانها النشأة الوحيدة التى تتجلى فيها الكمالات الالهية فى أعظم صورها، وما يذكره من أمر خلافة الإنسان فى الكون وفضله على الملائكة واستحقاقه مرتبة الخلافة دونهم. راجع التعليقات على الفصوص للدكتور العفيفى ص ٦.

(٣) فى خ: "من رحموت محيط".

(٤) وهم من أقسام الناطق الذى غلب عليه الهواء كمية واستوت الأربع كيفية ويقال لهم الملائكة السفلية أيضا.

أما أولا فبإلهام إجمالى أن لله حكما لا يعلمونها. وأما ثانيا فبواقعة تفصيلية تكون «١» شرحا و تبيانا للحكمة، فاجتمع بإذن الله، وإرادته مادة معتدلة له «٢» كأنها جميع الأرضين على اختلاف طبقاتها. فإن المعتدل إذا أصابه مسخن مّا صار حارا، أو مبرد ما صار باردا. فهو بالقوة القريبة جميع الطبقات واعتجن، وصار مثله حينئذ مثل الشئ يتعفن فيحدث منه الديدان غير أن تعفنه كان روحانيا، لا دنسيا، بسبب مصادمة قوة قوية من الروحانيات، كتعفن المنى فى بطن المرءة، فنفخ الله فيه الروح فصار حيا.

وجملة القول فيه أنه لما كان القصد فى ايجاده إلى إنشاء نوع التوى فى شخصيته حكم النوع كأنه هو النوع، والتوى فيها تنبه لهذا السر فى أصل جوهرها، وانه لما كان من اجتماع همم الروحانيات التوى فى روحه حكم الروحانيات.

فلما كان حديث عهد بربه، ولم يقو فيه نظام العناصر، والأخلاط عومل معه معاملة أهل الجنة بهذه «٣» الضرورة حينا من الدهر «٤»

(١) فى خ: "فواقعة تفصيلية يكون".

(٢) لم يوجد "له" فى المطبوعة.

(٣) فى خ: "لهذا الضرورة".

(٤) ويقول المصنف أيضا: لما وجد آدم عليه السلام بلا سبب عادى عومل معاملة أهل الجنة. فإنه وإن كان أرضيا ولكن بكماله وسبوغه اكتسب بدنا أخرويا فأسكن فى الجنة. راجع التفهيمات ج ٢ ص ١١٨ طبع المجلس العلمى.

ثم بعث تقريب يتجرد به لما خلق له، وتظهر«١» عليه أحكام جبلته، وإنه ركب فيه روحانية مناسبة بالملائكة يستحق بها الإلهام، وزوحانية بهيمية يستحق بها التمطى الحالات «٢» الدنسية الحادثة من غزارة الغذاء، فلما اجتمعتا كان له عقل أتم من سائر عقول الحيوان، فخاض العقل فى الشهوة، والغضب، والحاجات، وألهم بارتفاقات عجيبة وألهم استنباط الصنائع وخاض فى الحالة الملكية فألهم أنواع العبادة «٣» والتطهر، فسنّ لبنيه فى كل ذلك سننا عجيبة فكان بحسب هذه الأصول الثلثة له وقائع.

منها أن الملائكة العنصريين، والعملة أمروا بأن يسجدوا لآدم بأنفسهم، وأمر ملائكة(٤) الملاء الأعلى بأن يسجدوا له بأشباحهم فيتمثلوا بصورة الساجدين «٥» كماتمثل جبرئيل فى قصة سواله عن الايمان و الإسلام، والإحسان أعرابيا سائلا، وماكان السوال للاستكشاف ولذلك

---

(١) فى م: "يظهر" بالمذكر الغائب. "وجبلية" مكان "جبلته".

(٢) فى م: "للحالة" بالافراد.

(٣) فى م: "العبادات "بالجمع.

(٤) قلت: التحقيق فى هذه المسئلة ماكتبه المؤلف الامام فى تاليفه: الخير الكثير "وأما سجود الملائكة لآدم عليه السلام فإنما كان عندنا من العنصريين الذين منهم ابليس لا الفلكيين الخ. فيعلم من قوله: لا الفلكيين أنها لم تكن سجودهم بذواتهم ولا بأمثالهم. وإنما كتب فى هذه الرسالة ما كتب جمعا بين الفكرين و دفعا لشغب العوام.

«٥» فى خ: "بالصورة" باللام. لعله من سهو الناسخ.

قال النبي صلى الله وسلم : أتاكم جبرئيل يعلمكم دينكم. فسجد له الملائكة كلهم أجمعون بهذا التفصيل.

وبالجملة فكان سجودهم «١» لسرّ دقيق. وهو أنهم عابدون لله تعالى فيما يعملون «٢» لبنى آدم، ويدعون لهم، ويختصمون فيهم. فآدم وبنوه قبلة لعبادا تهم. فتمثل هذا السر واقعة، وانعقد عليهم وحيا موجبا للسجود. وكان فى أظهرهم ابليس. وكان فى الأصل ممن جبل على الحسد، والمشاحة، والكبر. ولكن لم يتفق له واقعة تظهر فيها تلك الذمائم، وكان له فى أصل جبلته خلوص الى الحقيقة الشرية، وخزانة الشر. ولكن غلب عليه «٣» اثر الملائكة، ودخل فى تضاعيفهم فلما أمر بالسجود عصى الله، فلعنه الله لعنا عظيما، وأحاطت به خطيئته. وصار كأنه ممسوخ وتجرد الى الشر.

ومنها أن آدم عليه السلام أحاطت به قوى الأرواح، وتخيلات الملاء الأعلى. وتوجه اليه تخيل العرش. فصار فى الجنة، وهو فى مكانه من الأرض، فانسحبت عليه أحكام الجنة. وكانت فيه طبيعة شهوية. فاشتاق الى أنثى من جنسه شوقا قويا. فتخيل صورة الأنثى تخيلا حثيثا فوجدت من تخيله (٤)

---

(١) فى خ: "بسجو دهم" بالباء.

(٢) فى خ: "يعلمون" من العلم.

(٣) فى خ: "عليهم" بالجمع. لعله من سهوالناسخ.

(٤) لعله مراد ما ورد من قول الامام الشافعى رح: ان الله تعالى لما خلق آدم خلقت حواء من ضلعه الخ. راجع سنن ابن ماجه ص ٤٠ طبع أصح المطابع.

« ثم بعث الله تقريبا يتجرد به لما خلق الله له، فقال للطبيعة الشهوية الحرصية أن تمطى لما تلهمك خزانة الشر، فتمطئت، فتلقت ههنا(١) اشتباها، و التباسا للعلم الحق بالباطل، و قسوة تمنع عن ادراك الحق على ماهو عليه. فالحق أنه أمر بلسان العناية المختصة بالوقت من قبل كونه فى الجنة: ان أكل الشجرة حرام يفضى به الى الخروج من الجنة، و يوصله الى العناء، و الجوع، و الظمأ. و أيضا ألهم علما حقا آخر. و هو أن أكله سبب الخلد (٢) اى بقاء النوع، و ظهور أمر الله تعالى، وإرادته. فنزل العلمان على الطبيعة. واشتبه الأمر عليه، وصار متحيرا مترددا، ولايدرى (٣) ماذايفعل. فكنى الله تعالى عن التحير و التردد بالنسيان. ثم هاجت فى صدره داعية شهوية فأكل. فهذا علم حق اختلط بباطل. وهو القوة، (٤) وعدم ظهور الالهام على وجهه. فظن أن معنى الخلد هو البقاء فى الجنة (٥) فكان هذا العلم مع الاختلاط بالباطل وسواسا شيطانيا، وكان تقريبا لما اراده الله تعالى فى الأزل فظهرفيه أحكام الطبيعة، و غلب عليه نظام العناصر، و الأخلاط، و زال عنه (٦) الجنان، و كمنت عنه العناية الملكية، و برزت العناية الطبيعية. ثم قيل له اذا اعترى الطبيعة بنيك، ولم يتمطئوا لالهام الحق، وجب فى جود الله و حكمته

(١) فى م: "منها" مكان "ههنا".
(٢) فى م: "للخلد" بلام الجارة.
(٣) فى م: "لايدرى" بدون الواو.
(٤) كذا فى خ: و فى م: "القسوة" و لعله صحيح.
(٥) ترك فى م: "فى الجنة".
(٦) فى م: "منه" مكان "عنه" و ترك فيها "عنه" الجاربع الضمير المجرور الوارد بعد "كمنت".

Marfat.com

أن يبعث فيهم رسلامنهم فمن اتبع الهدى فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون، ومن كفر فإنه يدخل النار، وعوتب بعد ذلك عتابا شديدا.

سره تخالف الروح الملكي و الطبيعة (وإحاطة الطبيعة بالروح الملكي من كل وجه ثم التجأ إلى الله التجاء عظيما، فهدئ إلى أحكام روحية في الطبيعة) (١) كانه قضى بها حكم الطبيعة، والروح جميعا. مثله(٢) حينئذ مثل السالك يتجرد إلى الله، ويصعد، ثم يهدى إلى السير في الخلق بالحق، ويهبط. ومنها أنه أفيض عليه في وقت من أوقات تجرد الروح من غواشي الطبيعة علم الارتفاقات، والحاجة التي تقع (٣) لبني النوع، والآلات التي يرتفق (٤) بها، وعلم تقطيع الأصوات. وكيف يتلفظ بأزاء كل شيء. (٥) فوجد حقيقة قدالتفت على كل شيء. فأظهرالله تلك الأشياء في عالم المثال حسب ما علمه آدم عليه السلام في الخيال فسأل الملائكة عنها، وعن اسمائها، وكيفية الارتفاق بها. فلم يعلموا لأنه لم يجبل فيهم ميزان استنباطها من العقل الخائض في الشهوة، والغضب،

(١) قلت العبارة الواقعة بين القوسين لم توجد في م. ولعله من سهو الناسخ.

(٢) في م: "ومثله" بالواو.

(٣) كذا في م: وفي خ: "نفع" لعله سهو.

(٤) وفي م: " ترتفق لها.

(٥) كما صرح به المؤلف في موضع آخر من تاليفه، حيث يقول: فأما آدم عليه السلام فلم يزل يعالج شدة في كمال نسمته حتى استبان الصبح، ووضح الحق، ولذلك إنما كانت مجاهداته مع الشيطان ومقاماته و وعلومه في كمال النسمة توليدا وتكميلا، ومن علومه علم وضع الألفاظ بحذاء المعاني. راجع التفهيمات ج ٢ ص ٧١ طبع المجلس العلمي.

والحاجة فظهرت الحكمة، وتمت النعمة على الملائكة فى تعليمهم (١) ما جهلوا.

ومنها أنه كان يوما من الدهر تفرغ إلى علمه أنه منشأ افراد الانسان صالحها و طالحها على حسب اختلاف الاستعدادات. فأفيضت صورهم فى عالم المثال(٢) تكميلا لآدم عليه السلام، وتبيانا لقضاء وجودهم فى المثال وسألهم: ألست بربكم قالوا بلى. أجابوا بلسان الفطرة، قبل ان يلكن بمخالطة البيعة فأخذوا بتلك الواقعة، حيث كانت تبيانا لأصل فطرتهم. فتلك الواقعة صورة الفطرة كما يكون شيء صورة شيء فى المنام فنسبت المواخذة إليها فى العلوم النازلة فى مدارك الملاء الأعلى، ثم فى مدارك بنى آدم.

ومنها أنه ألهم بعمل شيء من الارتفاق الأول، فأخذ فى الزرع، والحصاد والدياس، وتسخير البهائم، وطبخ الأطعمة، واستنبط اللغات، واهتدى إلى أساليب الكلام وغير ذلك، واهتم بأمر النسل، وسن العبادات سننا. (٣)

(١) كذا فى خ: وفى م: "تعليم ما جهلوا".
(٢) كما ورد فى مسند الامام احمد عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال: خلق الله آدم حين خلقه، وضرب كتفه اليمنى فأخرج ذريته البيضاء كأنهم الذر. الحديث. قلت: اخراج الذرية كان فى عالم المثال. فهذا الكلام من الامام كأنه شرح لهذا الحديث. وإن شئت مزيد تحقيقاته فراجع التفهيمات ج٢، ص ٣٧.
(٣) قلت: كذا فى خ: وفى م: هنا تقديم وتاخير فى العبارة، مخل لفهم المقصود وتحريف فى العبارة.

وكان ادريس عليه السلام فى ابتداء أمره من شيعة آدم عليه السلام يقفو أثره فى العلوم الإنسانية الوهبية الجبلية. وكان كماله يومئذ (١) التجرد إلى أحكام الصورة الإنسانية. ثم إنه ترقى من هذه الدرجة (٢) إلى حكمة انسلاخية فتجرد إلى أحكام الوجود المنبسط على هياكل الموجودات، ثم إلى نقطة اللاهوت، ثم تنزل إلى علوم طبيعية، وآلهية، ونجومية، وطبية، وارتفاقية. وذلك لأنه كان صناع اليدوصناع الوهم، و الخيال «فظهرت منه علوم كثيرة ونفذت فيها عناية الهية فحفظت على اختلاف القرون» و تبدل الأ لوان. كلما اندرس قرن قام بها قوم آخر. وكلما فسدلون انتظم لون آخر. ثم بورك فى تلك العلوم، فنشأت ملة المجوس، والملة الحنيفية و انتظم علوم الطب، (٤) والدعوة و النجوم. وكانت هذه العلوم حقة يومئذ، وإن كان اليوم (٥) فيها الحق المشوب بالباطل، و الثابت المشوب بالمحرف. ثم ترقى رقيا آخر (٦) فتجرد إلى هيئة ملكية بكبح الطبيعة، وسلخها عن مقتضاها وأحاطت به الجنة، ورفع مكانا عليا.

«١» كذا فى خ: وفى م، لفظ "يومئذ" متروك.
«٢» كتب فى م: هنا لفظ "فى" مكان "من" وهو من غلط الناسخ.
«٣» كل مابين القوسين لم يوجد فى خ: وهذه العبارة نقلتها من م.
«٤» كذا فى خ: وفى م: "علوم علم الطب" لعله من سهو الناسخ.
«٥» ترك فى م: "اليوم" والعبارة فيها هكذا: "وإن كان فيه الحق الخ"
«٦» فى م: "رقيا أخرى".

تاويل احاديث نوح عليه السلام و شيعته

الجملة فى أمره أنه كان قوى القوة الحيوانية بحيث يكون كالحجاب لوجه الروح عن بلوغها الى كمالها (١) وكذلك أكثر من بعث اليهم فانعقدت عليهم شريعتهم من دوام القيام، و الصيام، و الطاعات القاهرة (٢) على القوة الحيوانية المنبهة للانسانية، ولم يكونوا استنبطوا دقائق الحكمة المنزلية، والاكتسابية كثير استنباط لركونهم الى مايناسب البهيمية. فلم ينزل عليه علوم تعمقية فى هذه الأمور. وكان ساكن(٣) النفس عن صناعة الوهم، والخيال فلم يرفع الى العلوم الادريسية رأسا.

وكان قومه فساقا كفارا أفسدوا الارتفاقات، و انسد سبيلهم إلى الله و خرجوا عن معنى الانسانية، و ان كانت صورتهم صورة الانسانية. فانعقد عليهم الغضب(٤) فى الملاء الأعلى .ونظرالله اليهم فلعنهم، وغضب عليهم غضبا شديدا. وقضى بهلاكهم فوجب فى حكمة الله الانذار، و إرشاد الحق. إذ للحق ألسنة شتى، وعنايات كثيرة. وهو وان غضب على قوم بلسان فلايكاد (٥) يدع الحدب عليهم بلسان آخر. ولما كان

«١» قلت: انه وان كان قوى القوة الحيوانية، ولكنه اكتسب نفسه قوة ملكوتية وكان صاحب قرب النوافل وتجلى الله سبحانه فى عينه بهيئة نفسه الناطقة حذوا بحذو، فلذلك هم بهلاك قومه همة شديدة مؤثرة. راجع التفهيمات ج ٢ ص ٧١.

«٢» فى خ: "الظاهرة" مكان "القاهرة".

«٣» فى م: "ساكت النفس".

«٤» فى م: "غضب الله".

«٥» فى م: "قد لا يكاد".

إعدام الأنواع شرا عظيما لا يرضى به الله واستيناف إيجادها ولما تجتمع الأسباب السماوية والأرضية على الهيئة الاعتدالية أيضا يخالف العناية وجب فى عناية الله أن يرسل تقريبا لبقاء أصول الأنواع. فألهم صناعة السفينة، وجمع فيها الأنواع من كل نوع ذكرا وأنثى، ومن كل شجر لا ينبت بنفسه بذرا فأتم الله أمره.

وكان التدبير الإلٓهى ينتظر واقعة عظيمة من وقائع الجو يعذبهم فيها، حتى إذا تواطئت الأسباب السماوية والأرضية على طوفان عام مائى نفذ الله عند ذلك قضائه.(١) وقل ماكان واقعة عظيمة إلا باقتضاء عنايات كثيرة كالعناية بالطبائع الأرضية، والعناية بالأحكام الفلكية، والعناية بالمثل الإلٓهية، والنواميس المضروبة على الناس فيرى من لم يوت إلا نصيبا من العلم إحدى(٢) تلك العنايات، ويذهل عن سائرها فيكذب من ينسبها إليها. والمعرفة المستوعبة تجمعها (٣) جميعا.

فكان جميع علوم نوح عليه السلام وأحواله من هذه العنايات المذكورة فجعله الله الآدم الثانى. وهو أول المرسلين(٤) الذين بعثوا خداما للعناية الإلٓهية بحسب الإنذار، والأمر بالشرائع، ومخاصمة الكفار، والاحتيال بشىء(٥) تقتضيه العناية. وإليه تنتهى طريقة الأنبياء

«١» فى م: "قضاء".

«٢» فى م: "باحدى".

«٣» فى خ: "يجمعها".

«٤» وقال المؤلف الإمام فى حق نوح عليه السلام: وكان أول مرسل فى الأرض أتى بشريعة وخاصم قومه الخ. راجع التفهيمات ج٢ ص٧١.

«٥» فى م: "لشىء" مكان "بشىء".

عليهم السلام فى هذه الأمور. وأمته أول أمة أخرجت للناس. ولمانفث فى روعه شىء من الاحتيال لبقاء بنى آدم التوى فيه شىء من علوم الارتفاقات فوصى بها بنيه، وشىء من علم الفتن فحذر قومه من الدجال، وشىء من علوم التوحيد، والعبادات، وقهر الطبيعة البهيمية تحت الملكية.(١)

تاويل احاديث هود و صالح عليهما السلام(٢)

أمرهما فى أنفسهما، وأمر قومهما فى الكفر والفسق، وأمر الملاء الأعلى فى الغضب عليهم، والقضاء بهلاكهم، وأمر عناية الحق بالانسان الالٰهى أن ينذرهم، ويحتال لنجاة المومنين «منهم» (٣) شبيه بقصة نوح عليه السلام. فكانا منذرين. وألهما فى(٤) قلوبهما حيلة نجاة المومنين، وأوتيا سنن العبادة الكاسرة للطبيعة.

ولماكان مسكن عاد الأحقاف والرمال، وكان هواء ديارهم مائلا (٥) إلى اليبوسة والسخونة كان أقرب وجوه العذاب (٦) فى حقهم الطوفان الهوائى. فاحتبس عنهم (٧) المطر دهرا، وهلكت مواشيهم.

«١» لأن أمزجة قوم نوح عليه السلام كانت فى غاية القوة والشدة كما نبه عليه الحق تعالى استوجبوا أن يؤمروا بدوام الصيام ليقاوم سورة بهيمتهم راجع حجة الله ص ٨٩ ج ١.

«٢» فى خ: "هود وصالح عليهما السلام" بدون ذكر: "تاويل احاديث".

«٣» زيادة "منهم" عن خ.

«٤» فى خ: "ألهم" بالافراد.

«٥» كذا فى خ: وفى م: "مائلة إلى اليبس".

«٦» فى م: "عذاب" بدون اللام.

«٧» فى خ: "فاحتبس المطر".

فتضرعوا الى الحق، وتنبهت قوتهم الملكية فأخذوا بأعمالهم. ولو أنهم صاروا كالبهائم لم يعذبوا على الفور لأنه ظهرت العناية الملكية فلعنوا لانتقاضهم أحكام تلك العناية. فلما رؤا السحاب أى المادة المجتمعة فى السماء زعموه سحابا ممطرا، وكان ما استعجلوه من عذاب الله فتحول ريحا صرصرا.

ولما كان مسكن ثمود الجبال، و المغارات (١) كان أقرب التعذيبات فى حقهم الزلازل، والصيحة. ثم ان صالحا عليه السلام دعا بهلاكهم، ولما يأن وقت هلاكهم فاكتسبت نفسه هيئة الهلاك، و صار تحديق الله به متلبسا (٢) بما اكتسبه. فاعتراه حالة بين الموت و النوم، كالذى اعترى أصحاب الكهف ثم بعث.

وكل شر فى الملكوت فإنه يتمثل بصورة حيوان بحسب مناسبة جبلية للشرور بالحيوانات. وآخر الشرور يتمثل بصورة إنسان فيقرب الهلاك العام. فظهر شرورهم بدعوة صالح عليه السلام بصورة ناقة (٣)

«١» فى م: "المفازات". لعله من سهو الناسخ.

«٢» فى خ: "ملتبسا".

«٣» يعنى الناقة التى ظهرت لثمود من صالح عليه السلام بطريق المعجزة إنما كانت مادتها شرورهم تمثلت بصورة الناقة لطلبهم تلك. فلما قتلوها تروحت يعنى صارت روحا، وزالت عنها التقيد و التشخص الذى كان لها قد حصل بسبب التجسد، وحصل لها عموم، وعم الفساد وأهلكهم. نقل عن حاشية الخير الكثير من تصنيف مولانا محمد عاشق قدس الله سره الخالق. كذا و جدت هذه الحاشية على هامش النسخة الخطية لتاويل الأحاديث.

Marfat.com

فلما قتلوها تروح الشر وجاء الطوفان. وكذلك إذا قتل الدجال (١) تروح

«١» قوله وكذلك اذا قتل الخ إعلم أن الدجال إنما كانت مادة وجوده وسنخ عناصر جسده سيئآت قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وغيرهم على نبينا وعليهم الصلواة والتسليمات المحفوظة فى الصحيفة العامة، وإن كانت قد ظهرت بصور عذابهم ما كانت فى صحفهم المختصة لكل واحد منهم. لكن الشر الذى هو صعب وصلب فى نفسه يبقى بعد ظهوره فى الدنيا أيضا، ولهذا يكون به العذاب فى الآخرة سيما لو كان قد ارتسخ فى صحيفة العالم أيضا بعد رسوخه فى الصحيفة المختصة. ثم كثرت سيئآت بنى اسرائيل ولحقت بها، ولم تظهر لأنه كانوا فيهم الأنبياء المطلقيون وحافظ وقائم بالأمر فببركتهم لم تظهر بصورة العذاب، وتوحدت الشرور المجتمعة توحدا تاما، فأفيضت عليها الهيئة الانسانية لما أن كل متوحد فله طريق من حيثية توحده إلى المفيض الجواد. وجرت عادة الله سبحانه أن كل مادة بعد وصولها إلى وزن محدود تقتضى إفاضة هيئة عليها. ومثل إفاضة تلك الهيئة على الشرور كمثل إفاضة صورة الديدان على القاذورات بعد بلوغها أقصى مراتب القذرية. ولعل السر فى كونها متمثلة بصورة الانسان أن هذه الصورة هى مناسبة فى هذه النشأة لمن كان له كلية وإطلاق. وإليه الاشارة فى قوله صلى الله عليه وسلم: إن الله خلق آدم على صورته. وفيها أيضا عموم. ولهذا له انسلاخ وارتفاع غفلة من القوى المتين كما سيجيء فى قصته فى الخزانة التاسعة، وبعد صيرورته رجلا سويا ايضا يلحق به الشرور لحوق الجزئى بالكلى، أو الغذاء بالمتغذى. فإذا يموت، ويصير روحا ويتخلص عن التشخص الجسدى يعم جميع العالم هلاكا وهو القيامة. فافهم. نقل عن تقرير الخير الكثير من تصنيف مولانا محمد عاشق قدس الله سره الخالق. كذا فى هامش النسخة الختية لتاويل الأحاديث. أبو سعيد السندى.

الشر، وجاءت القيامة الكبرى. والطوفان هو هلاك القوم (١) والقيامة هى هلاك العام.

تاويل احاديث ابراهيم عليه السلام و آله

جملة الأمر فى قصته أنه كان خارجا إلى جانب الفطرة خروجا شديدا. وذلك لأن أفراد الانسان يختلفون فى ظهور الأخلاق. فمنهم من يكون الشجاعة فيه مفقودة، ومنهم من يكون فيه (٢) ضعيفة لايظهر بالرياضة البالغة إلا قليل لايعتديه. ومنهم من يكون (٣) فيه متوسطة لاتظهر إلا بدعوة إليها ولاتقوى إلا بممارسة أفعال وأقوال مناسبة لها وبالوقوع (٤) فى مظان تلك الأحوال. ومنهم من يكون (٥) فيه قوية. فاذا حبس نفسه عن مقتضيات الشجاعة كالاقدام فى المهالك، وكالغيرة فى مظانها لم تنحبس إلا بجهد. وكان الحبس شديدا عليها. ومع ذلك لايخلو عن فلتات الشجاعة. وإذا أوقعها فى مظانها، أو دعى اليها داعى رسم كان كالكبريت يتصل به النار. فلايتراخى إحراقه. ومنهم من يكون فيه فى غاية الشدة بحيث لايمكن له حبس نفسه عن تلك المقتضيات بل يكون كالمندفع بالضرورة إليها، وإن دعى إلى مخالفها داعى رسم لم يسمع قوله، ولم يخطر فى قلبه قط حديث يناسب الجبن. وهذا الأخير هو

---

(١) فى م: " قوم " بدون اللام.
(٢) فى م: "من يكون ضعيفة"، بدون ذكر "فيه".
(٣) فى م: " تكون " بالتانيث.
(٤) فى م: " والوقوع " بدون الجارة.
(٥) فى خ: " تكون " كما مرسابقا.

الإمام فى الشجاعة لايحتاج إلى إمام بل يجب على الناس الذين هم أدنى درجة منه أن يتمسكوا بسنته، و يعضوا بنوا جذهم على رسومه، ويتذكروا وقائعه حتى يكون لهم دستورا فى الشجاعة. فإن يقتدوا به خطأوا (١) سبيل الشجاعة، و انتقصت فيهم على حسب استعدادا تهم.

و المتمسكون على طبقات كثيره. منهم السابق الذى يقع قول الإمام فى قلبه بموقع، يكون أدعى له من راويه ومنهم المقتصد ومنهم ظالم (٢) لنفسه.

و بالجملة فالناس مختلفون فى الفطرة كاختلافهم فى الشجاعة. فمنهم من هو الإمام فى الفطرة. وهو المندفع بالضرورة إلى أفعال العبادات بحيث ليس لرسم ولاطبع ولاقاسر أن يمنعه عن مقتضى جبلته يتأتى له المضى فى أوضاع العبادات، و التمطى لأحوالها من غير تقليد ولا رواية عن أحد كإبراهيم عليه السلام فإنه الأتم فى هذا الشان لم يخرج أحد إلى هذا الخلق مثل خروجه لاقبله ولا بعده. وكان بحسب هذا الخلق يترشح عليه علوم إلهية، ولانقياد قلبه له تيسر له التوجه إلى الرحموت فى ضمن اللحوق بالملاء الأعلى، و انعكاس النور منهم. فلذلك جعل إماما، وأمر الأنبياء عليهم السلام باتباع ملته.

و منهم من يكون قوى الفطرة خارجا على الإجمال بحيث لولم يجد إماما لم يتمطأ لمخالفتها، ولكن كان فى قلبه اضطراب. ولو وجد وقع قوله من قلبه بموقع و عرف تاويله، واندفع إلى ضبط قوانينه، و

«١» فى م: ,, اخطأو".

«٢» فى م: " الظالم " بلام التعريف

«٣» فى خ: " فاختلافهم" وهو تصحيف.

Marfat.com

شرح مجمله و إشاعة مذهبه كسائر الأنبياء عليهم السلام اتبعوا ملة إبراهيم عليه السلام، و شرحوها، و دعوا إليها الناس.

و منهم من لا يهتدى لولم يجد إماما فاذا وجد انتفع كل الانتفاع كسباق (١) الأمم.

و منهم من لا يخرج إلا بدعوة حثيثة إلى الفطرة فينتفع نوع انتفاع.

و منهم المنكر الشديد المبائن، ختم الله على قلبه (٢) و على سمعه، و جعل من بين يديه و من خلفه سدا.

فلما بلغ إبراهيم عليه السلام أشده آتاه الله الحكمة، و انفسرت عليه جبلته. (٣) فلمارأى الكوكب و القمر و الشمس آفلات تذكر منها تذكرا عظيما أن ربه الذى فطره هو الذى يربيه، ويهديه، وهو برئ عن أحكام الأجسام متعال عن الناسوت. فاعتراه حال عظيم، و تبلج (٤) عليه الحق، وكان ذاغيرة شديدة على مايعبد من دون الله. فكسر الأصنام. فألقى فى النار. وكان عبدا مرضيا يريد الله بقاءه فى الخلق. فأفاض الله على مادة النار هيئة باردة دفعة واحدة فى ضمن ريح هبت عليها من الطبقة الزمهريرية، حملت برودة شديدة، فغيرت النار فحصل من تصادمها هواء طيّب.

---

(١) فى م: "كسابق"

(٢) لم يذكر فى م: اسم الجلالة.

(٣) كما ورد فى القرآن: وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات ـ الآية سورة الأنعام من آيت ٧٥ الى ٨١.

(٤) بمعنى أضاء و أشرق. و البُلجة بالضم: الضوء، و يفتح. القاموس المحيط للفيروزآبادى، ص ١٨٦ ج١.

Marfat.com
Marfat.com

ثم انه ضاق صدره بمجالسة الفجار المجادلين فى دين الله. فهاجر إلى ربه أعنى إلى أرض يمكن له فيها عبادة ربه. فاعترضه جبار عنيد يريد أن يظلمه على امرأته. فدعى الله تعالى بجهد همته. فأوحى الله إلى الملائكة أن يدخلوا فى جسد الجبار من قبل الريح المنبعث (١) فى البدن فتشنجت يده. فلمارأى ذلك ترك المرأة، وأخدمها هاجر.

ثم إن إبراهيم عليه السلام وامرأته كبر سنهما، ولم يرزقا ولدا. فرحمه الله ورزقه ولدين وكان(٢) من محض عناية الله بإبراهيم عليه السلام من حيث أنه عبد محبوب. فالتوى فيهما جذب إلٰهى. وكان الناس محتاجين إلى خلفاء إمام الفطرة. وأقرب الناس إلى الإمامة من التوى فى جبلته سر الجذب. فلهذا جعل فى ذريتهما النبوة والكتاب. وجعلت الدعوة إلى التوحيد كلمة باقية فى عقبهما.

أما أحدهما فكان مراد الحق فيه أن يجعله سادن حرمه، وأن يتدلى على يده إلى الخلق، ويظهر شعارا يتقربون به إلى الله ويجعل له ذرية فيها أمة مسلمة. فكان أقرب الوجوه إلى وجوده أن تهب سارة هاجرإبراهيم عليه السلام فأولدها إسمعيل عليه السلام وكان أقرب وجوه (٣) وصوله إلى أرض الحرم (٤) أن هاجت غيرة سارة. فأخرجت من بيتها هاجر وابنها. فأسكنهما فى أرض قفر فأنبع الله هنالك عينا، وألهم فى قلوب أقوام أن يسكنوه. فانتظم بذلك أمر الحرم. ثم ألهم فى

---

(١) فى خ: "المنبث".
(٢) زيادة "وكان" من خ.
(٣) فى م: "الوجوه" بلام التعريف. وهو غلط.
(٤) فى م: "الحرام".

قلب إبراهيم عليه السلام أن يبنى بيت الله وبوأه مكان البيت بأن أنشأ فى قلبه فراسة. ثم بارك فيها، وعلمه المناسك وكيفية عبادته بالبيت بأن بارك فى خلق ديانته فانعقد فى صدره وحيا موجبا ورآه فى مرآة نفسه، فنظم الله أمر إسمعيل عليه السلام وجعله سادن بيته، وأظمأ أكباد الناس إلى الحج وأوحى إليه فعل الخيرات، وجعله آمرا (١) بالمعروف لقومه.

وأما الآخر فبشر الله به إبراهيم عليه السلام بواسطة الملائكة وأهاج بسببهم فى سارة شبابها، وأعاد إليها حيضها فولدت إسحاق عليه السلام.

واعلم أن ابراهيم عليه السلام لما تجرد إلى الله بفطرته، وجبلته عُدّ من الملائكة المقربين، ونودى من كوة الإنسان الإلٰهى (٢) بواسطة الملاء الأعلى بلسان الإرادة والإختيار. فلذلك صرح بإبطال النجامية (٣) والمجوسية، والشرك.

وكان الله أراد بهذا التعليم تقريبا. وهو أن الملل كانت اختلفت أوضاع التحقيق فى المجوسية، وكثر الشرك بالنجوم. وكان الحق الدامغ لهذا الباطل هو الأمر بالفطرة، والانقياد للسان الإرادة. وكانت الحوادث فى أول هذه الدورة تصدر من قوى الأفلاك والعناصر بلا واسطة.

---

(١) فى م: "امرا".

(٢) قلت: الإنسان الالٰهى عبارة عن إمام نوع الإنسان وهى من مصطلحات المؤلف الإمام. ويقال له رب النوع الإنسانى فى فلسفة حكماء اليونان.

(٣) منسوب إلى النجّام وهو المنجّم: من ينظر فى النجوم والكواكب بحسب مواقيتها وسيرها. القاموس المحيط بزيادة وتغيير يسير. ص١٨١ ج٤

فنطق إدريس عليه السلام بالعلوم المناسبة لها. ثم ازدحمت الملاء الأعلى في حظيرة القدس. وكان كل واحد منهم كالطلسم المودع فيه بعض قوى الأفلاك. فكان الله تعالى إذا أراد شيئا بسط وقبض الملاء الأعلى. فأتم مراده. فلم يبق للأفلاك حكم صريح فجاء إبراهيم عليه السلام ماحقا للنجوم، ناطقا بالتوحيد، داعيا إلى التجلى القائم في حظيرة القدس.

واعلم أن العلوم التي في الملاء الأعلى أقرب (١) مايترشح في النفوس المناسبة بالملائكة. وإن العناية بهداية الناس واللعن عليهم، وضرب النواميس عليهم إنما يكون في الملاء الأعلى. فلذلك إنما تنزل العلوم على الأنبياء بواسطة الملاء الأعلى، وبلغتهم، وعلى ما يليق بمداركهم.

واعلم أن لله تعالى ألسنة شتى. فلما أراد الله تعالى أن يعلمه التقريب (٢) إلى الله بذبح القربان كلمه بلسانين لتكون (٣) واقعة عظيمة مفسرة لإخلاصه لله، وانقياده له، وليكون فداء الولد بالذبح بحسب ذلك اللسان نعمة مشكورة.

وسبيل ذلك أن أرواح الحيوانات متضمنة للعالم كله كالإنسان إلا أن الحيوان أشد إجمالا من الإنسان. فانشرح عليه هذا السر وتمثل في رؤياه أنه يذبح ابنه التام السابغ في الإنسانية. ومثل ذلك مثل (٤) إيجاب خمسين صلوة على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ثم أوجب خمس

---

(١) كذا في م: وفي خ: "قرب"
(٢) كذا في خ: وفي م: "التقرب"
(٣) في خ: "ليكون" بالتذكير.
(٤) لم يوجد في خ: لفظ "مثل" قبل لفظ "إيجاب"

صلوات، ثم اعلم (١) أن الله لا يبدل القول. هي خمس في الحقيقة، وهي خمسون باعتبار كل حسنة بعشرة أمثالها. فخمسون لسان تجوز تكلم الله به ليتم النعمة، ويبتلي الانقياد.

فكذلك الله كلم إبراهيم عليه السلام بلسانين: أحدهما لسان تجوز أن اذبح ابنك أي كبشا سابغا يكون أكرم الأشياء (٢) على صاحبه كرامة الولد على والده. فلما انقاد لهذا اللسان حصلت له واقعة عظيمة شارحة لعبادته. وكتب في صحيفته أنه ذبح ولده لله، ثم فداه الله بذبح عظيم إتماما للنعمة، وتكميلا للرحمة عليهما. وثانيهما لسان حقيقة فقال: قد صدقت الرويا (٣) يعني أتيت بتعبير الرؤيا ومراده، وإنما هو ذبح الكبش لا غير.

وكان إبراهيم عليه السلام تلقى من الإنسان الآلهي (٤) علم الإرتفاقات وعلم البر والاثم. فلذلك سنّ الضيافة، وحق ابن السبيل، وخصال الفطرة، والتقريب بالذبح، وشرع أركان الإسلام، وتباعد عن الشرك بأتم وجه.

وكان من شيعته لوط عليه السلام ممن تأدب عليه، وسمع منه فوقع من قلبه بموقع عظيم. وكان حسنة من حسناته. وكان هنالك أقوام

«١» في خ: "علم"

«٢» كذا في خ: وفي م: "اكرم على صاحبه" قلت: أمرله في المنام كما ورد في القرآن: "فلما بلغ معه السعي قال يا بنيّ إني أرىا في المنام اني أذبحك. الآية. الصافات ١٠٢

(٣) الصافات ١٠٥.

(٤) قلت: الإنسان الآلهي هو إمام نوع الانسان تنحدر منه أحكام لنوع الإنساني على أشخاصه.

غلبت عليهم المجون والخلاعة (١) وأفسدوا فى الأرض، والتحقوا بالبهائم فى استيفاء اللذات الجسمانية، فغضب الله عليهم. وكان من حكمة الله أن ينذرهم قبل أن يصيبهم جزاء ماكسبوا فأوحى إلى ابراهيم عليه السلام أن يقوم بالإنذار ولو برجل من شيعته. فأرسل لوطا عليه السلام فوعظهم، وذكّرهم، وأنذرهم فلم ينفع فيهم شيئا (٢) فانتظرت الحكمة أسبابا سماوية وأرضية، تعد لفيضان (٣) واقعة جوية يعذبون بها. فلما جاء أمر الله تمثلت الملائكة، وجاؤ إلى إبراهيم عليه السلام لأنه هو الأصل فى الإنذار وهو الذى (وضع) فى يده (٤) نواصيهم فى صورة أضياف. فقرب إليهم ما يليق بالأضياف. فلما رأى أيديهم لاتصل إليه نكرهم، وتوحش منهم حتى وضح أنهم ملائكة. فزالت الوحشة من ظاهر إبراهيم عليه السلام، وأهل بيته، وجاءهم الفرح، وانصبغت أنفسهم بصبغ الملكوت فلذلك كان من دعائهم رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت (٥)

---

(١) المجون: الصلب والغلظة وقلة الحياء. ومنه الماجن لمن لا يبالى قولا وفعلا. والخلاعة بفتح الفاء من خلُع يخلُع (بضم العين فيهما) انقاد لهواه وتهتك. استخف.

(٢) لأن الغالب فى قومه الشدة والقوة. فالتجأ من الشدة إلى الركن الشديد الذى هو الله تعالى فاستاصلهم بشدة العذاب جزاء وفاقا.

(٣) وفى م: "بفيضان".

(٤) زيادة "وضع" من م.

(٥) كما ورد فى القرآن المقدس فى سورة الذاريات من آية ٢٤ إلى ٢٨ والملكوت: عالم الغيب المختص بالأرواح والنفوس. راجع التعريفات للجرجانى ص ١٥٦ طبع الحميدية.

و الملائكة من روح الله تعالى. و الروح لاتمر على شيء إلا عاد إليه حياته و شبابه. فلما دعوا بالبركة، و هموا بجهدهم أن تصح (١) حال سارة. وكانت الرحمة تنتظر فى استجابة دعاء إبراهيم عليه السلام مثل هذه الحالة شبتت (٢) فى ضمن فرح و تعجب أصاباها (٣) ظاهرا و باطنا، و من قبل البشارة حين تخيلت وجود الولد. فانشرحت روحها فى الجسد، و بورك فى هذا الانشراح، كما أن المريض (٤) المدنف ربما شفاه الفرح بغتة، وكما أن حكايات الأقوياء من أهل الباءة (٥) تقوى ما يناسب تلك القوة.

ثم سألهم إبراهيم عليه السلام عن عزيمتهم فأخبروه، ثم ذهبوا إلى قرية لوط عليه السلام، ونزلوا عليه، فجاءه قومه يهرعون إليه، يريدون الفساد. فأعمى الله أبصارهم فى ضمن دور وعجلة (٦) حصلت لهم فى معاركة لوط عليه السلام، ثم طوى لهم الأرض بأن بورك فى مشيهم. و أمروا أن لا ينظروا إلى ما خلفهم لئلا يستكثروا السير. فتشتت عزيمتهم التى هى كالشبح للروح الإلهى. ثم نزل العذاب. و ذلك برجفة

---

(١) و فى م: "أن يصح" بالتذكير.
(٢) كذا فى خ. و فى م: "ثبتت" بالثاء. و الصواب عندى: "شبت" و الله اعلم.
(٣) كذا فى م. و فى خ: "أحياها". لعله من تصحيف الناسخ.
(٤) كذا فى م: و فى خ: "الحريص" وهو تصحيف. والمدنف من أدنفه المرض اى أدناه إلى الموت. و الدنف محركة: المرض الملازم. فى م: "المدلف" باللام وهو غلط.
(٥) كذا فى خ: فى م: "الباه".
(٦) كذا فى م: و فى خ: "ذور و عجلة" بالذال المعجمة.

شديدة من الأرض، وانعقاد مادة المطر والرياح والبرد حجارة من سجيل.

واعلم أن جميع التعذيبات التى تجىء من قبل كائنات الجو، لايكون إلا فى اتصالات موحشة(١) من الكواكب، ولايكون إلا بعد احتباس المطر فى السماء، واجتماع مواد كثيرة فيها مدة طويلة، واحتباس مواد كثيرة فى الأرض فينضم مع ذلك غضب الملاء الأعلى ولعنتهم فيبسط الله تعالى تلك الأسباب، ويجعل تلك المواد تارة زلازل وصيحة، وتارة خسفا وحجارة من سجيل، وتارة صرصرا، وتارة صاعقة ونارا مستطيرة.

(تاويل احاديث يوسف عليه السلام)

وكان الله تعالى قدر يوسف عليه السلام بلاء ومصيبة وهجرا من والده لتواطىء أسباب سماوية على ذلك. فأصابته واقعة عظيمة من قبل حسد إخوته به وإيقاعه فى الجب، ثم بيعه ووصوله إلى زليخا وسجنه إلى أن انقضى وقت البلاء. فرحمه الله وثج عليه نعمه ثجا ظاهرة وباطنة. وكان له فى حادثته تلك عنايات من ربه.

فمنها أنه كان يوسف عليه السلام زكيا فظهرله فى روياه ماينعم الله عليه فى آخر أمره من جعله مطاعا فى خلق الله يعظمه أبواه، وإخوته تعظيما شديدا. فعبرها يعقوب عليه السلام، وعلم ماهو مراد الله، وعلم (٢) من تنبهه بسر المراد على وجه منتظم أنه مستعد لعلم تاويل

(١) كذا فى خ: وفى م: "مواحشة".
(٢) كذا فى خ: وفى م: "على" موضع "علم".

Marfat.com

الأحاديث، لأن الرويا (١) والحوادث لها تاويل يعرفه صاحب التنبه المنتظم. وأعنى بالتنبه المنتظم أن يكون تصوير الخيال للمعنى المراد بصورة مناسبة للطبيعة على مايقتضية الطبيعة الكلية إذا أفاضت حقيقة إجمالية فى الناسوت.

ومنها أن إخوته لما حسدوا عليه، وتشاوروا فى قتله أجرى على لسان رجل منهم أن لاتقتلوا يوسف وألقوه فى غيابة الجب. ثم جعل سائرهم مطيعين لقوله. فجعل قتله إلقاء فى الجب وسهل عليه القضاء.

ومنها أنه لما ألقوه فى الجب أوحى الله (٢) إليه (مايصير إليه) (٣) أمره وأمرهم من انقيادهم له واعترافهم بفضله وبخطائهم فى حقه. حيث قالوا "لقد آثرك الله علينا" (٤) ليثبت قلبه، ويونسه فى وحشته.

ومنها أنه كان المقتضى الطبيعى لهذه الحادثة أن يهلك يوسف عليه السلام ولكن الله تعالى قبضها فلم يجعلها (٥) هلاكا حقيقة، ولكن هلاكا فى الظاهر وفى الحكاية والظن ومن جهة حزن يعقوب عليه السلام.

ومنها أنه أرسل تقريبا (٦) إلى نجاة يوسف عليه السلام. فألقى فى قلوب السيارة أن يميلوا إلى تلك الجهة، وأن يرسلوا واردهم إلى الجب يظنون أن هنالك ماء. فعثر على يوسف عليه السلام من ذلك الوجه، و

---

(١) وفى م: "فان الرويا" بالفاء.
(٢) كذا فى م. وفى خ: "أوحى إليه" بدون ذكر الجلالة.
(٣) ماخوذة من خ: ولم توجد فى م.
(٤) سورة يوسف آية ٩٢.
(٥) فى خ: إهلاكا.
(٦) كذا فى خ. وفى م: "تقريبات".

رُغب فيه، وحافظ عليه ظنا منه أنه بضاعة. والحق أنه مراد طول حياته وبلوغه إلى كماله.

ومنها أنه لما اشتراه العزيز ألقى الله فى قلبه أن يوصى به امرأته خيرا، وفى قلبها أن تستوصى خيرا، عسى أن تتخذه(١) ولدا. والحق أنه مراد الحق فيه أن يبوءه (٢) فى الأرض، ويسبغ عليه نعمته قبل النعمة الكبرى.

ومنها أنه أظهر الله عليه الحكمة والعلم (٣) من غير تعليم، و أوضح عليه الملة الحنيفية، وإن كان فى قوم (٤) كفار ورسم فاسد.

ومنها أنه لما عشقته المرأة وراودته عن نفسه. وهو شاب قوى المزاج فهمت به وهم بها (٥) أظهر الله برهانا عظيما. فهاج

(١) كذا فى خ. وفى م: "يتخذه". وورد فى القرآن المجيد: "عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا". آية ٢١ من سورة يوسف.
(٢) كذا فى م. وفى خ: "يبوه" بدون الهمزة.
(٣) كذا فى خ. وفى م: "العلم والحكمة والعلم" وهو من تصحيف الناسخ.
(٤) كذا فى م. وفى خ: "من قوم" موضع "فى قوم".
(٥) تلميح إلى آية ٢٤ من سورة يوسف: ولقد همت به وهم بها. ألآية. كتب المؤلف الإمام تحقيقا أنيقا تحت هذه الآية ولاباس أن أذكر ملخصه تتميما للفائدة. يقول المؤلف: إعلم أن عصمة الله تعالى لعباده من السوء والفحشاء يكون على وجهين: أحدهما أن تتلون نسمته بلون التقوى. وذلك بأن يستمع إلى زواجر الله تعالى ووعيده. فتقع على القلب بموقع عظيم ويظهر به مكنون جبلته من خلق الديانة فيحيط التقوى بالنسمة من جميع جوانبها ثم يدخل فى جذرها، فينعدم ملكة المعصية رأسا وهذه عصمة أهل الله.
(والبقية على ص ٣٥)

من قلبه داعى عصمته فأبطل داعى مزاجه وإن قويت. فمثل له في خياله أبوه الذى كان يعتقد فيه أنه من شعائر الله، و أنه داعى الحق فى الأرض ناهيا من فعله.

و منها أنه لما اتهم يوسف عليه السلام و بطل لسان الصدق الذى كان له فى الناس أنطق الله صبيا بحكمة يظهر بها براء ته.

و منها أن امرأة العزيز لما زينته و أظهرته على النسوة لتدفع عنها عذلهن عشقنه و سعين إليه بأتم وجه. فكان بقاء عصمته كالممتنع فى الظاهر. فدعا ربه أن يخلصه ولو بالسجن الذى بادر به لسان زليخا تخويفا ليتم مرادها فاستجاب الله دعائه، و أظهر لهم أن يسجنوه، وإن دلت الآيات على براء ته.

و منها أن الله تعالى بعث تقريبا عجيبا لخلاصه و تمكينه فى أرض

والثانى أن لاتتلون نسمته بشىء من الألوان بل يكون خالية متهيئة لما يرد عليها و لكن يحيط بهذا الرجل الإسم الذى يقتضى تولى العبد من فوقه ومن تحته فلايدعه أن يقع فى مهلكة. فالعبد حينئذ غير مقيد بالتقوى بحسب جذر سره و لكن التقوى لباس الله من فوقه. و هذه أشرف من الأولى. وكان يوسف عليه السلام بل الأنبياء جميعا من المعصومين بهذه العصمة. ولذلك تراهم يجولون فى المباحات من معانقة الأزواج و الأولاد و المكاسب و البكاء على فقد الأولاد والمرافق و الضجر على المرض وسوال كشفه مالايفعل عشره الصوفيون. فكان يوسف عليه السلام شابا والمرأة من أجمل الناس مشغوفة بحبه فعرضت نفسها عليه و غلقت الأبواب فأوحيت صحة مزاجه الناسوتى أن يهم بها و لكن أدركته التولى فتمثل عنده بصورة البرهان الذى رآه وأخلصه الله تعالى. راجع التفهيمات ج ١ ص ٢٦٠

بمصر، وأن ينطلق لسان العوام والخواص بمدحه وثنائه فأرى الفتيين رويا، ووفق يوسف عليه السلام لتعبيرها. فعلم ما هو المراد، وأمر الساقى أن يذكره عند ربه ويبين فضله.

ومنها أنه لما أحاط بأهل مصر سنة عظيمة، وكاد (١) أن يهلكوا ألهم حيلة النجاة فى قلب ملكهم رحمة بهم، ولا يتم الإلهام ولا وجود الحيلة إلا بيوسف عليه السلام. ولا خلاص يوسف عليه السلام إلا بالإلهام (٢) والاحتياج إليه فأهاج للملك والمدينة حاجة إلى يوسف عليه السلام، وليوسف عليه السلام حاجة إليه وإليهم، ليقضى الله أمرا كان مفعولا. وكذلك أكثر الحوادث يجتمع فيها عنايات كثيرة فى حق أشخاص كثيرة.

ومنها أنه وفق ليوسف عليه السلام أن يكترث فى سجنه حتى تظهر (٣) براءته، ويكون له لسان صدق فى الناس قبل أن تحدق(٤) به نعم الله فيكون لسان صدقه مشوبا بالدنيا. ولذلك أثنى عليه النبى ﷺ، واعترف بفضله. حيث قال: لو لبثت فى السجن. الحديث. (٥)

---

(١) كذا فى م. وفى خ: "كان" لعله تصيحف.
(٢) فى م: "بإلهام" بدون لام التعريف.
(٣) فى خ: "يظهر" بالياء.
(٤) كذا فى م. وفى خ: "يحدق" بالياء.
(٥) كما ورد فى المسند والصحيحين من حديث الزهرى عن سعيد وأبى مسلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "ونحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال (رب أرنى كيف تحى الموتى) الآية ويرحم الله لوطا لقد كان ياوى إلى ركن شديد ولو لبثت فى السجن مالبث يوسف لأجبت الداعى. راجع تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٨٤١ طبع. مصطفى محمد بمصر.

Marfat.com
Marfat.com

ومنها أن الله تعالى جعل يوسف عليه السلام ملكا، وطوع له قلب ريان (١) و قلوب الناس، وجعل ذلك نعمة على يوسف عليه السلام وعلى الناس جميعا.

و منها أن أهاج رغبة لأخوة يوسف عليه السلام أن يا توه ليتم مواصلة المحزونين. وكان يعقوب عليه السلام يعلم التوحيد وعلم الأسباب جميعا خاف العين، وأمرهم بالحذر.

و منها أنه لما أراد أن يحبس أخاه عنده ليستانس به من حيث لايشعرون كاد الله له كيدا فأجرى على لسان إخوته أنه من وجد فى رحله فهو جزاؤه. يظنون أنهم يبالغون فى إظهار براء تهم والحق أنهم يسعون فى مراد يوسف عليه السلام من حيث لايشعرون.

ثم أوحى الله فى قلب يعقوب عليه السلام وحيا إجماليا أنه واصل إلى بنيه، ثم أتم عليه نعمته، ورد عليه بصره فى ضمن بشاشة (٢) حصلت لروحه، وحقق رؤيا يوسف عليه السلام. فهذه آيات ظهرت على يوسف عليه السلام. ينبغى للمومنين أن يعلموا منها كيف يظهر الله عنايته فى خلقه إذا أراد بقاء نفس فى مهلكة أو بلوغها إلى كمالها فى الدنيا والآخرة. وإذا أراد بقاء قوم فكيف يلهم حيلة النجاة، ثم كيف يخدم لتلك الحيلة من هو مستعد لها فتدبر فى آيات الله، وكن عالما بتدبيره فى خلقه.

---

(١) اسم لملك مصر.

(٢) كذا في م. وفى خ: "نشأته" ولعله من تحريف الناسخ.

Marfat.com
Marfat.com

(تاويل احاديث ايوب عليه السلام) (١)

و نشأ أيوب عليه السلام فى نعمة و ثروة و رفادة (٢) وعبادة و نظافة. فبعث نبيا إلى قومه، يا مرهم بالمعروف و ينها هم عن المنكر، و يدعوهم إلى الملة الحنيفية، و يسد خلة الفقراء و المساكين منهم. ثم تواطئت الأسباب السماوية على مصيبة فى ماله و أهله و جسده. فكان له يومئذ عنايات من ربه من إفاضة خير و طمانية. و من تصير حالته تلك من أصول مايشرح انقياده لله فكتبت فى صحيفة عمله، و شكر له بارئه عليها.

فلما جاء انقضاء بلائه ثج الله عليه نعمه، و برزت الرحمة التى كانت كامنة، و قيل له اركض برجلك هذا مغتسل بارد و شراب. (٣) أما الركض (٤) فعناية من الله بالأسباب الأرضية، لئلا تصير سدى مهملا من كل وجه فانبع عينا، من خاصيتها إزالة الجذام كما أن عين الكبريت لها خاصية فى إزالة الجرب. فاستعمله اغتسالا و شربا. فشفى ظاهر بدنه، و اضمحل مادة مرضه، و عاد إليه و إلى امرأته شبابهما، فولد لهما عدد ما كان هلك و مثله معه و جعل له لسان صدق فى أهل زمانه و من بعدهم، و بارك فى أمواله كما كان بارك من قبل أو أكثر.

---

(١) هذا العنوان و ان لم يوجد فى النسختين معا ولكن وضعناه تسهيلا و تنسيقا و ميزناه بالقوسين.

(٢) كذا فى خ. و الرفادة بمعنى العطية والإسناد. و فى م: "رفاءة".

(٣) كما ورد فى كلامه تعالى: و اذكر عبدنا أيوب إذنادى ربه انى مسنى الشيطن بنصب وعذاب. اركض برجلك هذا مغتسل بارد و شراب. سورة ص ٤١-٤٢.

(٤) كذا فى م. و فى خ: "اما اركض".

وكان ذات يوم يغتسل فجاءته الجراد رحمة من ربه. فلما وقعت فى بيته مسخت ذهبا ووقعت واحدة خارج البيت فحرص عليها علما منه أن الرحمة إذا توجهت من جهة وجب التعرض لها بقدر الإمكان.

وكان نذر أن يضرب امرأته مائة ضربة. وكان الله نظر إليه نظر رحمة وتسهيل. فاكتفى من إيفاء نذره على صورة النذر دون المعنى. فإن ضرب مائة ضربة معناه الإيلام الشديد، وصورته مائة فعلة. وكذلك فعله تعالى بالمحبوبين من عباده يكتفى منهم بالصورة من الحدود الشرعية دون المعنى عناية منه بالنواميس المنعقدة فى صدور الملاء الأعلى، وبما يرى فيهم من الحرج والشدة، وكذلك فعله بكل نظام مرضى إذا تواطئت الأسباب الإرادية. فإنه يقضى بينهما بالعدل، فيكتفى من الشيء بوجه دون وجه.

تاويل احاديث شعيب عليه السلام (١)

وكان شعيب عليه السلام مؤمنا فى القلب منقادا لربه. فأفسد قومه فى الأرض، وظلموا الناس حقوقهم. واجتمعوا على الرسوم الفاسدة. فكان (٢) المظلومون يستغيثون (٣) فلايغاثون، ونسوا الإيمان بالله واليوم الآخر راسا. فكان من حكمة الله أن يوحى إلى شعيب عليه السلام أن ينذرهم ما الله فاعل بهم، ويخبرهم بلعنه إياهم.

---

(١) إلحاق العنوان من المرتب.

(٢) كذا فى خ. وفى م: "وكان" بالواو موضع الفاء.

(٣) فى م: "ويستغيثون" بالواو. وهو غلط صريح.

فلما لم ينفع إنذاره شيئا (١) انتظرت الحكمة، حتى اذا احتبس عنهم المطر مدة طويلة، واحتبست مواد الأرض، واشتدالحر، جاء أمر الله فهبّ عليهم السموم. ثم بورك فى تلك الرياح فصارت نارا، وصيح بهم فأهلكوا. فعاد شعيب عليه السلام مؤمنا منقادا لربه كما كان، واضمحل ماهاج فى صدره من المجادلة، والإنذارحكاية عن انعقاد اللعن فى الملاء الأعلى، وكان يلتذ بنزول حالة إلٰهية (٢) فى قلبه، فتمنى أن يكون بعض قومه آمن وبعضهم لم يومن.

تاويل احاديث موسى و هارون عليهما السلام

إعلم أن فرعون تكبر على الله وعلى شعائره، وادعى أنه إلٰه، واستعبد له خلق الله، وأفسد فى الأرض، واستعلى على بنى اسرائيل بقتل أبنائهم والاستخفاف بهم. وكانوا خيرة خلق الله فى أرضه فتضرعوا إلى الله، واستغاثوا به فأرادالله أن يعذب فرعون وقومه على مايفعلون، ويمن على هولاء المستضعفين، ويجعلهم أئمة، ويجعلهم الوارثين، فقضى بخلق رجل عظيم الشان، يكون هلاك هؤلاء ونجاة هولاء (٣) على يديه. فكان لله به عنايات فى ابتداء أمره إلى بلوغه

(١) بل آذاه جميع أمته فوقف الله عذابها على كلمة فتكلم بها لما بلغت شرورهم حدها فخرجت الكلمة من فيه اضطرارا. راجع التفهيمات ج ٢ ص ٧٢ طبع المجلس العلمى.

(٢) كذا فى م. وفى خ: "الهيبة".

(٣) زيادة "نجاة هولاء" من خ.

أشده، و فتنه فتونا ليفسر (١) عليه جبلته، و يبرز ماطوى فى استعداده.

فمنها أن فرعون بعث القوابل بتجسس نساء بنى إسرائيل فستر موسى عنهن، بأن أدى اجتهادهن إلى أن ليس هناك حبل، ثم لما ولد ألهم فى قلب أمه حيلة لنجاته (٢) أن ارضعيه فاذا خفت عليه ألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه إليك و جاعلوه من المرسلين. (٣)

و ذلك بأن حدثت نفسها بتدبير. و هو أن حبسه عندها مظنة للإهلاك. و أما إلقاؤه فى اليم فعسى أن يكون سببا لخلاصه، و عسى أن يكون هوالذى بشر (٤) به علماء بنى إسرائيل، و يخافه فرعون. فترشح الإلهام فى صورة حديث النفس، ثم بورك فيه، فغلب عليه الحديث، حتى لم تملك نفسها ففعلت، ثم أهاج فى اليم أمواجا حتى ألقت التابوت إلى آل فرعون فالتقطوه فرغبهم الله فيه يظنون أنهم عسى أن ينفعهم، و يتخذوه ولدا.

و الحق الصريح أن الله تعالى أراد أن يربى موسى عليه السلام أحسن تربية، و يؤمنه من خوف فرعون. و كذلك أمر الله إذا شاء ارتفاع ملة أو دولة فربما سوّل لرجل فاجر أمرا حسب ما يليق بذهنه فيباشره. فيفعل الله مراده وهو لا يشعر. ولذلك قال رسول الله ﷺ

---

(١) كذا فى خ. و فى م: "لتنفسر".

(٢) فى م: "نجاته" بدون الجارة.

(٣) تلميح إلى ماورد فى كلامه تعالى: وأوحينا إلى أم موسى أن ارضعيه فاذا خفت عليه فألقه فى اليم. الآية. سورة. القصص ٧.

(٤) كذا فى م و فى خ، يشير.

إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر (١).

ثم أصبح فواد أم موسى فارغا (٢)، حيث لم تكن منسلخة عن حكم الطبيعة منقادة للإلهام كما ينبغى فغلب عليها العلم الفكرى فعلمت أنها أخطأت التدبير، وأنه يجب عليها أن يفحص عن التابوت قبل أن ينجيه الأمواج، ولكن الله ربط على قلبها. فتارة تقول لعل الله يفعل ما كنت أتمنيه، وتارة تريد أن تبدى سرها جزعا.

ثم قالت لأخته قصيه فبصرت به عن جُنُب وهم لا يشعرون (٣). ثم أراد الله أن تقرعينها ولاتحزن، وتكون هى التى تحزن وترضع من غير خوف فرعون ليكون أرفق بموسى، وأوثق لنسبته(٤)،

(١) رواه الإمام البخارى فى صحيحه فى حديث طويل حيث يقول: حدثنا ابو اليمان قال أخبرنا شعيب عن الزهرى قال أخبرنى سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال: شهدنا خيبر فقال رسول الله ﷺ لرجل ممن معه يدعى الإسلام "هذا من أهل النار" فلما حضرالقتال قاتل الرجل أشد القتال حتى كثرت به الجراحة فكاد بعض الناس يرتاب. فوجد الرجل ألم الجراحة فأهوى بيده إلى كنانته فاستخرج منها أسهما فنحر بها نفسه فاشتد رجال من المسلمين فقالوا يا رسول الله صدق الله حديثك انتحر فلان فقتل نفسه فقال قم يا فلان فأذن أن لايدخل الجنة إلا مومن إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر. راجع الجامع الصحيح للبخارى ج ٢ ص ٦٠٤ طبع أصح المطابع.

(٢) تلميح إلى آية ١٠ من سورة القصص.

(٣) سورة القصص ١١.

(٤) كذا فى خ وفى م: "لنسبه" وهو الأنسب.

و أقرب لتمذهبه بالملة الحنيفية و عناية بها لتعلم أن الحديث الذى أهاج فى صدرها إلهام من ربها فتنقاد له، و تشكر الله، ليكون أنفع لها فى كمالها فأهاج الله تقريبا فحرم عليه المراضع فلم يكن يمص ثديا، يستبشع كل لبن حتى أعياهم أمره، ثم هدوا إليها، فاستطاب ثديها فتعينت مرضعة .

ثم لم يزل يزيد فى علمه و عقله (١)، و تنشرح (٢) عليه فطرته، حتى إذا بلغ أشده (٣) آتاه الله حكما و علما. ففهم تاويل النوا ميس وتمطى للانصباغ من الملاء الأعلى. ثم أراد الله أن يخلص موسى عليه السلام من حضانة فرعون، و ينجيه عنه ليكون أتم لعلمه ورشده. فإن موسى عليه السلام كان من الذين يتم انشراح فطرتهم بصحبة المومنين، و يمنعه منعاما الارتفاق بمرافق الفراعنة، و صحبتهم. فأهاج الله تقريبا لا يصادم عصمته بأن دخل فى اللذين يقتتلان يريد الإصلاح. فانجر إلى تاديب الظالم، فبادرت يده إلى القتل فاستغفر ربه بلسانه الذى يعرفه يومئذ فتاب الله عليه، و كشف الله الغين الذى كان على قلب موسى عليه السلام حين ظن أنه أذنب و إلا فهو خادم أمر الله مطيع فى قتله، ولكن اقتضى لسان وقته (٤) و حاله أن لا يتفطن بهذا السر (٥)

---

(١) كذا فى خ. و فى م: "فى عقله و علمه" بالتقديم و التاخير.
(٢) فى م: "ينشرح" بالمذكر الغائب.
(٣) زيادة الضمير من خ.
(٤) كذا فى م. و فى خ "قتله" موضع "وقته".
(٥) فى م: "لهذا" باللام.

ويلبس على الحكم الناموسى الذى يعلمه (١) من الشريعة فأصبح خائفا.
ثم أجرى الله على لسان من نصره (٢) موسى عليه السلام، ومن عليه ما فيه خوف هلاكه كيدا من الله ليكون تقريبا لخروج موسى عليه السلام ويأسه من نعمة فرعون. وذلك أنه فهم من قول موسى عليه السلام: إنك لغوى مبين (٣) أنه يريد البطش به فتفوه بالخبر، وشاع فى المدينة، وغضب فرعون. ثم أجرى على لسان مخبرها (٤) ما يهيجه إلى الخروج.
ثم لما توجه تلقاء مدين بلازاد ولاراحلة ولا دليل وفوض أمره إلى الله وتوكل عليه تولى الله حفظه وهدايته. ولما وصل ماء مدين أهاج الله تقريبا ليمكنه فى أرض مدين. (٥) فألقى فى قلب هذا أن يتبرع بسقى غنم لشعيب عليه السلام.(٦) وألقى فى قلب شعيب عليه السلام وابنتيه (٧) الرغبة فيه لأنه قوى أمين. فقضى بهذا وذلك أمرا شاءه.
ثم هدى موسى عليه السلام أن يختار من العصى عصا توارثه الأنبياء عليهم السلام وفيها البركة. ثم خرج موسى عليه السلام إلى مصر

---

(١) فى م: "تعلمه" بالتاء.
(٢) فى خ: "نصرة" بالتاء وهو غلط.
(٣) كما وردت قصته فى القرآن المقدس: "فأصبح فى المدينة خائفا يترقب فاذ الذى استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى إنك لغوى مبين." سورة القصص ١٨.
(٤) كذا فى خ. وفى م: "مخبر" بدون ضمير المؤنث.
(٥) فى م: "أرض مصر" لعله من غلط الناسخ.
(٦) فى م: "شعيب عليه السلام" بدون اللام.
(٧) كذا فى خ. وفى م: "ابنته". بالإفراد

Marfat.com

حبا لقومه في ظاهر الأمر، و ليقضى الله أمر الرسالة في الحقيقة. و لما بلغ وادى طوى وهو وادى مبارك اجتمع فيه روحانيات الملائكة أهاج تقريبا فاحتاج إلى النار و الخبر. و أخذ امرأته الطلق، وجاء البرد وضل الطريق. فلما وصل إلى سدرة في ذلك الوادى تدلى الله تبارك و تعالى إلى موسى عليه السلام تدليا عجيبا لم يؤثر مثله عن غيره، وهو أن الملاء الأعلى انعقد فيهم داعية مخاطبة موسى عليه السلام شفاها. لأنه رجل صلب الطبيعة شجاعها شحيحها (١) فتصورت النار في تلك البقعة تصورا حثيثا، فأفاض الله صورة النار لامن قبل العناصر و الطبائع (٢) بل من محض عالم المثال، فكلمه شفاها في تلك النار على لسان الملاء الأعلى فخاف موسى عليه السلام فآنسه الله، و أمره أن يذهب إلى فرعون، و يدعوه إلى الإيمان، و أراه معجزة العصا و اليد البيضاء.

وتحقيق الأمر فيهما أن عالم المثال كما يظهر بحيث يكون موجودا مستقلا لا يرتبط بموجود طبيعي كالنار، فكذلك قد يظهر في جسم طبيعي فيحصل له حكم المثال و يغلب عليه الكون المثالي فصار عصا ناسوتيا مثاليا، وصارت شعبتاها لحى (٣) الثعبان. وكذا اليد كانت فيهما لمعة فصارت بعينها نورها وكان السحر في زمانه التصرف في مشاعر الناس حتى يتخيلوا أوصافا و أعراضا في الأجسام الطبيعية مماليس فيها. فظهر الحق

(١) كذا في خ. والشحيح بمعنى الحريص و الشجاع و الغيور كالشحشاح و الشحشحان راجع القاموس المحيط للفيروزآبادى ج ١ ص ٢٣٨ طبع مصطفى البابي.
(٢) كذا في م. و في خ: "الصنائع".
(٣) كذا في خ. واللحى بالكسر و اللُحى بالضم جمع اللحية بمعنى شعر الخدين و الذقن. و اللَحى منبتها. و في م: "لحيتى الثعبان."

فى مثل تلك الصورة. وكان السحر باطلا لأنه تخيل ماليس له أصل. وهذا حق لأن له أصلا. وبيّن الحق سبحانه له يومئذ جميع ماجرى له من العنايات حين أوحى إلى أمه، وحين ألقى عليه محبة منه. هلم جرا إلى هذه الحالة(١) وعلّمه أصول علم التعبد، وعلم المخاصمة مع فرعون. وسأل موسى عليه السلام أشياء كانحلال العقدة من لسانه، وجعل أخيه وزيرا له(٢) فأعطاه جميع ما سأل. فلما طفق موسى عليه السلام يخاصم فرعون كانت لله تعالى عنايات فى حقه لكونه محبوبا مرضيا وآيات من قبل لعن الله فرعون وقومه.

فمنها أن فرعون سأله عن ربه فما أجاب إلا بأظهر آياته (٣) لأن معرفة الذات لايمكن إلا لقوم وقليل ماهم. والنواميس عامة شاملة للناس، وطلب آية فانقلب العصا ثعبانا، وأخرج يده بيضاء من غير سوء فأعجز السحرة، وظهر أمر الحق.

ومنها أن فرعون عزم على قتل موسى عليه السلام. فقيض الله مومن آل فرعون (٤) يعظهم ويذكرهم حتى كبحهم عن عزيمتهم وشككهم فى أمرهم. ثم ألقى فى قلوبهم إرجاء أمر موسى عليه السلام، وطلب معارضته(٥) من السحرة يظنون أن فى ذلك علو كلمتهم. والحق أنه تقريب إلى علو كلمة موسى عليه السلام، وظهر معجزته.

(١) كما ورد فى سورة طه ٣٨–٤١.
(٢) كما أخبر به الله تعالى فى كلامه، راجع سورة طه ٢٥–٣٥.
(٣) كما ورد فى كلامه تعالى: قال فمن ربكما يا موسى. قال ربنا الذى أعطى كُلّ شىء خلقه ثم هدى. سورة طه ٤٩–٥٠.
(٤) كذا فى م. وفى خ: "مؤمنا إلى فرعون."
(٥) فى م: "معارضة" بدون الضمير.

ومنها أن الله هدى السحرة إلى الحق ليكون أصرح لحجته حيث أطاع له من تصدى لمعارضته.

ومنها أن الله ابتلاهم بتسع آيات (١) مفصلات كلما دعى موسى عليه السلام أن يرفعها الله رفعها، وكلما دعى أن ينزلها أنزلها.

ومنها أنه أمر موسى عليه السلام أن يخرج إلى اليم (٢) فأتبعهم فرعون بجنوده. فلما وصلوا إلى اليم سلط الله عليه ريحا قوية شقت بعضه وأيبست بعضه وتصرفت في بعضه كتصرفها في أجزاء الأرض حين تصير أعصارا. فأنجى بنى إسرائيل وهلك(٣) فرعون وجنوده. فلما توجهوا تلقاء بيت المقدس مروا على قوم يعكفون على أصنام فقال سفهاؤهم ممن لم تدخل بشاشة الإيمان فى قلبه إجعل لنا إلها كما لهم آلهة. وذلك لأن جبلتهم كانت فاقدة الالتفات إلى الجبروت. فلما قرعهم موسى عليه السلام بقوارع المواعظ طلبوا شبحا للجبروت يلتفتون إليها فى ضمنه

(١) كما ورد فى كلامه تعالى: ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات. الآية. سورة الإسراء ١٠١. وهذه الآيات كانت دلائل قاطعة على صحة نبوته وفى تعيينها اختلاف بين المفسرين. ذكر الحافظ ابن كثير الدمشقى: قال ابن عباس أيضا ومجاهد وعكرمة والشعبي وقتادة: هى يده وعصاه والسنين ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وهذا القول ظاهر جلى حسن قوى. راجع تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٦٦ طبع مصطفى محمد بمصر.

(٢) كما ورد فى القرآن المقدس: ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا لا تخف دركا ولا تخشى! فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم. سورة طه ٧٧–٧٨.

(٣) كذا فى خ. وفى م: "أهلك" بالمزيد.

فدرّ فهم موسى عليه السلام الحق وفضح مقالتهم فارتدعوا بالقسر، وسكتوا على شك.(١) فى أمرهم فتفطن السامرى منهم ففعل بهم «مافعل» (٢)

ثم إن الله وعد موسى عليه السلام أن يناجيه فى البقعة المباركة، و يعطيه الألواح و الأحكام. أما خصوص البقعة فلاجتماع (٣) روحانيات الملائكة هنالك و اندرست الأخبار المنبئه بوجه (٤) الإجتماع. وأما ما يرجع إلى موسى عليه السلام فانه اعتكف هنالك، وتجرد لذكر الله، و تشبه بالملكوت. ولمارأى الموضع الذى تجلى الله فيه انقاد لتلك الحالة، و اهتزلها، (٥) فأعطى الله موسى عليه السلام الألواح فى نسختها هدى و رحمة. يعنى المواعظ وأيام الله و صفاته و باهر أفعاله. وكان جوهر الألواح من زمرد الجنة أى من جوهر شبيه الزمرد أوجده الله بقول كن من غير سبب عنصرى، وأضل السامرى بنىإسرائيل بعد موسى عليهالسلام بأن ألقى قبضة من أثر الروح التى من خاصيتها أن لاتمر على شىء إلاعادت إليه حيوة مناسبة له فى صورة العجل. وذلك فى الحقيقة رحمة بصالحى بنى إسرائيل، وتوقيرهم على سفهائهم ما استعد وا له.

و ذلك لأن قوما منهم كانوا دجالين بالطبع (٦) انقادوا لتعبد غير الله، وكان تظهر عليهم فلتات كفرهم وقتا فوقتا. فأراد الله أن ينقى

---

(١) كذا فى م. و فى خ: "على شك ذلك."

(٢) زيادة ما بين القوسين من خ.

(٣) فى م: "فا لاجتماع" وهو من سهو الناسخ.

(٤) فى م: "المبينة" بوجه."

(٥) فى م: "بها" بالباء موضع اللام.

(٤) هنا فى خ: " الطبع" بدون الجارة. وهو من سهو الناسخ.

بنى إسرائيل منهم. ومنهم(١) كانوا بحيث إن أبقوا فى الدنيا لم يتخلصوا إلى حقيقة الإيمان قط لمنع طبائعم الأرضية عن ذلك. فكان خيرهم أن يقتلوا على حالة الانقياد لتترقى نفوسهم فى البرزخ فدعى موسى عليه السلام السامرى، وكشف الإشكال، ودعى عليه (٢)

ومن عناية الله تعالى بموسى عليه السلام أن قوما طعنوه بالأدرة لأنه كان يستر عند الغسل استحياء. فظنوه من باب ستر العيب. فبرأه الله مما قالوا. وكان عند الله وجيها لا يحب أن يطعن فيه. وذلك أنه مر على ماء فأراد أن يغتسل فوضع ثوبه على حجر فتدهده الحجر فى الأرض حتى رآه من بنى إسرائيل عريانا وشهدوا ببراءته عن الأدرة.

ولما رأى موسى عليه السلام أن العناية توجهت إليه أتم توجه، وأنه قد حصل «له» (٣) تشبه قوى بالملاء الأعلى سأل الله أن يريه جهرة أى يرى نوره بأن تحدق (٤) النفس الكلية فى طائفة من العنصر الخامس وتتصور(٥) فيه جسما نورانيا يحاكى مبلغ معرفة موسى عليه السلام بربه فيكون روحه تعريف الحق نفسه إلى موسى عليه السلام وجسمه من عالم الملاء الأعلى، ويكون الاختلاط بين الروح والجسم أن يصدق نسبة حالة كل واحد منهما إلى الآخر كالجسم الأخروى فهذا معنى قوله تعالى: أرنى أنظر إليك (٦).

---

(١) كذا فى خ. وفى م: "لأنهم" موضع "ومنهم."
(٢) فى خ: "عليهم."
(٣) زيادة "له" من م.
(٤) كذا فى خ. وفى م: "تحدوا."
(٥) فى م: "يتصور" بالياء.
(٦) سورة الأعراف ١٤٢.

و ما صدر هذا من موسى عليه السلام إلا لمعرفته بتصرفات النفس الأولى اذا اعتنت بهداية أحد من المحبوبين كما كان له عند شوقه من النار و لكن كان موسى عليه السلام فى بدء الأمر أعطى التوجه إلى الحق، ولم يعط التصرف فى الخلق بالحق فتجلى له الحق يومئذ بنار لحدة مزاجه، و لم تحرقه. (١) و لو تجلى اليوم تجلى بنار محرقة لايماسها (٢) شيء إلاتلف، لأنه صورة موسى عليه السلام فى مرآة الحق فعرف موسى عليه السلام أن الله لايتجلى بشيء إلا بصورته فى مرآة الحق. فيكون هو بحسب استعداده موجبا لصورة فى الحق. و حاشا منصب الرسالة أن يجهل مثل هذه المعرفة، ولم يعرف أنه اليوم بحالة لوتجلى الله بصورته تلف جسده، و أن بقاؤه مراد رحمة بالناس، فرحمه الله و تجلى له على جبل فاندق الجبل وخر موسى صعقا. فلما أفاق انكشفت (٤) عليه الدقيقة و تاب إلى الله ان يسأل بلسانه مايلائم استعداده.

و طلب قوم موسى عليه السلام ما طلب موسى سلام الله عليه (٥) لانعكاس حالة شوقية إلى مظاهر النفس الكلية منه فى قلوبهم فتجلى الحق فى صورة صاعقة فأتلفهم، ثم أحياهم رحمة بموسى عليه السلام، ثم أمرهم أن يسكنوا الأرض المقدسة، و أقطعها لهم. و كان تغلب عليها قوم الجبارين فأمروا بالجهاد و وعدوا بالنصرة، فاتخذ موسى عليه السلام

(١) فى م، "لم تحرق" بدون الضمير المنصوب.

(٢) فى خ: "تماسها" بالتاء.

(٣) كذا فى خ. و فى م: "الشيء".

(٤) فى م: "انكشف" بدون تاء التانيث.

(٥) فى م: "عليه السلام."

من كل سبط نقيبا يتعرف أخبارهم، و يامرهم و ينهاهم و يتميز عندهم منازل القوم فى أخلاقهم و بعثهم عيونا إلى الجبارين. فأخبر رجلان بما يشجعهم وسائرهم بما يفشلهم فرحم هذين و اتخذهما صديقين خليفتين، و غضب على هولآء فأهلكهم.

فلما اختلفت الأخبار جبنت بنو إسرائيل عن مقاومتهم فعاتبهم الله بأن أضلهم فى التيه مدة لايهتدون سبيلا، فاعوز زادهم فدعى موسى عليه السلام بجهد همته فرزقهم الله المنّ و السلوى رزقا دبّره بقبض الأسباب، و بسطها، وجعل لهم سحابا غليظا شبه (١) الظلة تقيهم الشمس، ونارا مضيئة شبه العمود، وتكفيهم(٢) عن المشاعل والسرج، وبارك فى ثيابهم فصار لاتتسخ و لاتبلى. وكل ذلك تصرف فى مادة السحاب و البرق و لها نظائر فى الطبيعة.

وكان موسى عليه السلام يلهم فى قلبه فيضرب فى حجر هو أقرب الأحجار استعدادا لنبوع الماء فينصدع ويخرج منه الماء، و يجعله اثناعشر ينبوعا بعدد الأسباط. (٣)

وكان فى الجبارين رجل تعلم علوم الأنبياء، و حفظ كتبهم فأطاع الشيطان، و مال إلى الدنيا، فأمرهم بإدخال البغايا على بنى إسرائيل ليكثر فيهم الفجور، فتذهب البركة، و تشتت العناية. فإن العناية و إن كانت من قبل(٤) محبوبية موسى عليه السلام و هارون عليه السلام تقتضى

(١) فى م: "يشبه."
(٢) فى خ: "وتكفيهم" بالواو.
(٣) كما وردت قصته فى سورة البقرة ٦٠ و سورة الأعراف ١٦٠.
(٤) إضافة "قبل" من نسخة خ، ولم يوجد فى م.

النصرة، ولكن لغابة الفجور فيهم تقتضى الخذلان فوفق موسى عليه السلام لإخراج البغايا فقاتلوا الجبابرة. (١) ففتح الله عليهم تلك الديار، و أسكنهم فيها، لايزعجهم عنها مزعج، إلاجزاء عملهم. وجعلهم ملوكا فى الأرض فى أرغد عيش. و جمع شملهم بموسى عليه السلام. يعلمهم التوراة، و يعظهم و يزكيهم. ويقيم فيهم الحدود، و يا خذ للمظلوم من الظالم.

وكذلك صنع الله بالمحبوبين من عباده يسهل عليهم الدنيا، و يجعل لهم لسان صدق، وقبولا فى الناس. فلو أن قوما اجتمعوا على التوكل على الله، وانقادوا لأمره من غير تردد، ولاتشتت عزيمة رزقهم الله من عنده، و بارك فى زروعهم و مواشيهم و أكسابهم.

ثم ان الله علّم موسى عليه السلام فى جملة ما علّمه صنعة الكيميا، فبلغت قارون. وكان ابن عم موسى عليه السلام. فأثرى. ثم طغى، و بغى، و نسى المبدأ و المنتهى. وكان فرعونا من الفراعنة. فنهاه موسى عليه السلام، فلم يزدجر. و حقده، (٣) و اتهمه بالبغايا. فدعى موسى عليه السلام عليه بجهد همته، فخسف الله به، و بداره الأرض.

و هذا آية من (آيات)(٤) الله ليعرف الناس أن المتكبر على أنبياء تعالى و الحاقد لهم و المطمئن بالحيوة الدنيا و الناسى لحق الله ماذا يفعل

---

(١) فى م: الجبائرة.

(٢) كما أخبر به الله تعالى: و وهبنا لهم من رحمتنا و جعلنا لهم لسان صدق عليا. سورة مريم ٥٠.

(٣) فى م: "حقد" بدون الضمير المنصوب.

(٤) إضافة "آيات" من م.

بهم. و الله يختار من أنواع العذاب ما هو أقرب يومئذ إلى الأسباب الطبيعية وكان خسف داره أقرب يومئذ من سائر التعذيبات.

وكان عند موسى عليه السلام أنه أعلم الناس فتوقف فى طلب الزيادة فأراد الله واقعة تحرضه (١) على طلب الزيادة كما اكتفى فى حق نبينا ﷺ بالأمر. فقال: "وقل رب زدنى علما" (٢)

وذلك لأن العبد إذا تجلى الحق له بصورة الوقت، وتمثل عنده علوم يقتضيها ذلك التجلى فإنّه ربما لايعرف غير تلك العلوم لانفيا ولا إثباتا، بل يذهل عنها ذهولا بسيطا. وهكذا يترقى طورا بعد طور إلى ماشاء الله ولايكون للمحبوب فى الأكثر قلق ولا شوق مفرط.

٥ وبالجملة فقام موسى عليه السلام ذات يوم خطيبا يعلم الناس مما علمه الله حتى بهر قلوب الحاضرين. فسأله سائل: هل تجد يا موسى أعلم منك؟ قال: لاأجد. (٣) فأوحى الله: بلى عبدنا خضر أعلم منك يعنى فى علم التدبير الإلٓهى فى خاصة الأوقات والصيرورة كالجارحة له، إذا أراد إتمام شىء من التدبير، كما أن موسى عليه السلام «كان» (٤)

(١) كذا فى خ. وفى م: "يُحرِّضه" بالمذكر الغائب.
(٢) سورة طه ١١٤.
(٣) كما رواه البخارى بسنده: قال ابن عباس رضي الله عنه حدثنى أبى بن كعب رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إن موسى قام خطيبا فى بنى إسرائيل فسئل أى الناس أعلم؟ قال: أنا فعتب الله عليه إذلم يرد العلم إليه. فأوحى الله إليه إن لى عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك. الحديث طويل. راجع الجامع الصحيح للبخارى ج ٢ ص ٦٨٧ طبع أصح المطابع.
(٤) كذا فى خ. ولم يوجد فى م: لفظ "كان".

أعلمُ منه فى علم النواميس الكلية، والشرائع المضروبة على عموم الناس، وفى الصيرورة جارحة لله فى إقامة الدين. فسأل موسى عليه السلام السبيل إليه فنفث فى روعه أن السبيل إليه هو الحوت المملوح. ولم يعرف وجه دلالتها على خضر. فخرج موسى عليه السلام وفتاه يوشع يلتمسانه. وحملا أقراصا من شعير وحوتا مملوحا فى زنبيل فمشيا حتى بلغا صخرة. فنام موسى عليه السلام عندها من تعب أصابه. وجلس يوشع يتوضأ فقطر الماء على الحوت وسرى فيها الحيوة. فوقعت فى البحر وظهر طريق يابس فى ممرها. وذلك لأن للماء خاصية فى إحياء الحيوانات المائية. فبورك فى تلك الخاصية، فوجدا خضر بتلك الآية.

فكان من أمرها أنه أراه ثلث وقائع مما يكون الله دبر تقريبا أو إصلاحا فى خلقه. فجعل عبدا من عباده جارحة من جوارح الحق فى إتمام الفعل المراد. والنواميس أمرها على الأحكام الكلية ومظان الحكم والتقريبات أمرها على المصالح الجزئية، والقضاء فى كل وقت بماينا سببه. وهى من أدق العلوم، ولا يعلمها إلا من يصير من جوارح الحق، فيعلم سر تلك الواقعة بعينها.

وكان موسى عليه السلام ذهل عن هذا العلمُ مرارا حين طلب الروية، وحين استغفر من قتل القبطىّ، وحين حاجّ آدم عليهما السلام وإن كان من أعلم الناس بالنواميس. فكان من حكمة الله أن يريه مثل ما وقع له. فانتزع لوحا من السفينة حذرا من أن يغصبه الملك الجائر. وحفظ الله السفينة من الغرق بأن جعل الموج كلما مرّ بالسفينة اشتد سيره فلم ينخرق (١) سطح الماء. وقتل نفسا بغير نفس لأنها طبعت كافرة.

---

(١) فى خ: "تنخرق" بالتاء.

ولو عاشت لظهرت عليها أحكام الجبلة، ولأرهق (١) أبويه طغيانًا و كفرا. فأبدلها الله خيرا. و أقام الجدار حفظان للمال الذى أودعه العبد الصالح المحبوب. (٢)

و من الوقائع العظيمة فى أيام موسى عليه السلام: ان الله أراد رحمة بالغلام البار بأمه، لأن أباه أودعه من الله فتكفل الله أمره فى صباه. حتى إذا بلغ أشده أراد أن يتم نعمته، وأراد جزاء الذى قتل قريبه: بأن يحرمه الميراث و يفضحه، و يقتله بالقصاص. وأراد رحمة ببنى اسرائيل (٣) ليعلمون (٤) أن أمر الله ووعده بالبعث حق. وإن موسى عليه السلام وإن أمر بمايكون بعيدا فى الظاهر يجب امتثال أمره: إذ تحته
سرلم ينكشف بعد. و إن التشدد و التعمق فى أمر الله سوء أدب. فأتم الله ٥
بتلك العنايات الواقعة المعلومة (٥). ولما توفى الله موسى عليه السلام

---

(١) فى م: "لأرهق" بدون واو العطف.

(٢) كما وردت هذه القصة فى سورة الكهف من آية ٧١ إلى ٨٢.

(٣) فى م: "رحمة بنى إسرائيل" بالإضافة.

(٤) فى م: "ليعلمو" بدون النون.

(٥) أى واقعة رجلٍ من بنى إسرائيل الذى كان عقيما لا يولد له ولد، وكان ابن أخيه وارثه. ثم احتمله ليلا فوضعه على باب رجل منهم ثم أصبح يدعيه عليهم حتى تسلحوا وركب بعضهم على بعض. فقال ذوالرأى منهم والنهى: علامَ يقتل بعضكم بعضا و هذا رسول الله فيكم؟ فأتوا موسى عليه السلام فذكروا ذلك له فقال (إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) وقد ذكر الحافظ ابن كثير قصة الغلام البار أيضا. راجع تفسير ابن كثير ج ١ ص ١٠٨ طبع المكتبة التجارية بمصر.

إلى رحمته ساس بنى اسرائيل سياسة حسنة. فبعث فيهم الأنبياء لينذرونهم ويبشرونهم ويذكرونهم ويامرونهم (١) وينهونهم. وذلك من الاستطاعة الميسرة (٢).

فمنهم من كان ملكا كيوشع عليه السلام. ومنهم من كان حبرا كأشعيا واليسع وشمويل عليهم السلام. ومنهم من كان راهبا قوى الرياضة كإلياس عليه السلام. وذلك لاقتضاء المصلحة، وانتخاب الأقرب والأسهل فى كل وقت.

والأنبياء عليهم السلام بنوعلات، أبوهم واحد، وهوالتربية الإلهية المناسبة للنبوة. (٣) وأمهاتهم شتى. وهى الاستعدادات الوهبية والكسبية. وكانوا كلما أطاعوا التوراة، وأقاموها بارك الله لهم، وكلما عصوها انتقم منهم، وكلما أحاط بهم داهية ألهم حيلة النجاة. وهى السياسة الإلهية إن لم يمنع مانع. والله أعلم بالصواب.

تاويل احاديث شمويل و داؤد و سليمان و يونس عليهم السلام.

كان الله تعالى أخبر فى التوراة أن بنى اسرائيل سيغلبون (٤) ويفسدون ويكفرون مرتين. ففى كل مرة يبعث عليهم عباد أولوباس شديد فجاسوا خلال الديار فلما جاء وعد أولهما عصوا أحكام التوراة.

---

(١) فى خ: "يا مرهم" بصيغة الواحد المذكر. وهو من غلط الناسخ.
(٢) كذا فى م. وفى خ: "المتيسرة".
(٣) فى م: "والمناسبة بالنبوة" وهو من تصحيف الناسخ.
(٤) كذا فى خ. وفى م: "سيغلبون الأرض".

فقيض الله (١) عليهم جالوت. فقتل منهم وسبى، وسلب التابوت الذى فيها (٢) تبركات آل موسى وهارون. فحزنوا وتابوا ورجعوا إلى نبيهم شمويل عليه السلام وطلبوا ملكا لأنهم علموا أن مقاتلة الأعادى وهم جمع كثير لايمكن إلا باجتماع الرأى، وتصدى رجل لإقامة مصالح الملك. ويجب فى حكمة الله أن يدفع الكافرين بماشاء، ولكن دفعه بأن يلهم المومنين: أن يجاهدوا ويثبتهم ويشجعهم ويسلطهم على من عداهم أقرب تقريبا (٣) وأوفقه بالمصالح الطبيعيته فكان فى تلك الواقعة عنايات من الله.

منها أنه لما قام (٤) طالوت ملكا طعنوا فيه بأنه ليس له سابقة فى الملك ولافى السعة، فكشف النبى شمويل عليه السلام شبهتم بأنه يجب الانقياد لإلهام الله فيما دبره فى خلقه فلم ينفعهم فأظهر الله آية ليطمئنون (٥) بها. وهى أن يا تيهم التابوت فيه تبركات (٦) آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة (٧).

---

(١) لم يذكر فى م: اسم الجلالة.

(٢) فى م: "فيه".

(٣) كذا فى خ. وفى م: "تقريب".

(٤) فى خ: "أقام" بالمزيد.

(٥) فى م: "يطمئنون" بدون اللام.

(٦) فى م: "بركات".

(٧) كما وردت قصته فى كلامه تعالى: وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يا تيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مماترك آلُ موسى و آل هرون تحمله الملئكة إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مومنين. البقرة ٢٤٨

د و ذلك أنهم ابتلوا بالمصائب من القحط و المشاجرة فيما بينهم فألهمت الملائكة انما ابتلوا لأجل التابوت. فلم يزالوا ينحونه عنهم قرية بعد قرية حتى أوصلوه إلى مايلى ديار بنى إسرائيل. فحملوه على عجلة و وجهوها إلى بنى إسرائيل إضرارا بهم (١) وكان فى الحقيقة تقريبا لهم. فلما أتاهم التابوت من غير سعى منهم كانت آية لهم. فاستانسوا بتبركات موسى و هارون عليهما السلام، وأفيض فى ضمن هذا الاستيناس السكينة و الطمانينة و التصديق بكون الملك مؤيدا من الغيب مباركا.

و منها أن طالوت احتاج إلى معرفة حال جنده و منازلهم فى شجاعتهم و قوة قلبهم ليعتمد على كل أحد بما يرى فيه. ولم يكن له سبيل إلى تلك المعرفة لأنه على جناح التعجيل و هى إنما يكون بعد ممارسة و طول تعهد. فأظهر الله نهرا وابتلاهم به و نهاهم عن شرب مائه إلا غرفة واحدة بيده. (٢) وكان هذا منبعثا (٣) فى الظاهر عن التوثق و قوة القلب و انقياد الطبيعة لما (٤) أمر به الحكمة والاقتحام فى المهالك. و لم يلزم (٥) منه فى حكم العقل الشجاعة و الانقياد للملك، و لكن الله نفث فى هذه الحادثة بركة فلم تنبعث داعية هذا

(١) كذا فى م، و فى خ: "اضطرارا".
(٢) كما ورد فى القرآن المقدس: فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر. ألآية. ألبقرة ٢٤٩.
(٣) كذا فى م، و فى خ: "منبعاثا".
(٤) فى م: "لمامر" موضع "لما أمر".
(٥) فى م: "لم يلزم" بدون الواو.

Marfat.com

الانقياد الا للكامل شجاعة و انقيادا. فعرف طالوت أهل الشجاعة و الانقياد منهم فلما برزوا لجالوت و هو فى جم غفير و شوكة عظيمة لم يتوثق إلاقلب من فطن فيه ذلك.

و منها أن الله تعالى أراد بداؤد أن يكون له لسان صدق فى بنى إسرائيل و يتولى الملك فأنطق الله الحجارة، أى كشف عن أمرها لما مشى عليها كأنه يسمع منها أنها آلة قتل جالوت. و ألقى الاضطراب فى قلب طالوت، حتى شرط لقاتل جالوت نصف الملك و تزويج ابنته. ثم شجع قلب داؤد عليه السلام، وجعل يده محاذية لمناخره. وأمر الريح أن يحمل الحجارة إليها. فأهلك جالوت بهذا التدبير، وقضى ما أراد الله (١) من نصرة بنى اسرائيل، و دفع الكافرين ورفع شان داؤد عليه السلام وجعله ملكا (٢).

وكان داؤد عليه السلام رجلا شجاعا قويا له ملكة راسخة فى سياسة المدنية. فجعله خليفة فى الأرض. وأعطاه الإمامة. ووضع بنى إسرائيل فى يده و جعل له حقا عليهم. وكتب فى الملاء الأعلى أنهم إن عصوه عصوا الله، و إن أطاعوه أطاعوا الله. فتصرف عليه السلام فيهم تصرفا حسنا. فأقام الحدود، و جاهد الكفار. و فصل القضايا المشكلة. وأظهر شعائر الله. و ألف بين أسباط بنى اسرائيل.

وكان له طريقة حسنة فى التعبد والتذلل على الله فألهمه الله (٣) الزبور. وهى مائة و خمسون مزمورة. كل مزمورة دعاء و تضرع وطلب الخير

---

(١) لم يذكر فى م: اسم الجلالة.

(٢) كما ورد فى سورة البقرة ٢٥١.

(٣) لم يذكر فى م: اسم الجلالة.

فى الدنيا و الآخرة، و استعاذة من الله . وكان صناع اليد فألهم صنعة الدروع رحمة من الله به ليكون أوسع لرزقه، و بالناس ليقيهم (١) من باسهم . و سهّل الله عليه القرآن فكان يقرء فى زمان لايقرء فيه غيره. وذلك أنه بارك على لسانه وعلى متخيله (٢) فكان يتخيل كل لفظ بوجه واضح فى سويعة. و يتلفظ بحسبه تلفظا سريعا. و جعل له صوتا حسنا يؤثر فى الناس والدواب . وسخر له الجبال فكان اذا سبّح جاوبته بالعشى والإشراق (٣). و ذلك أنها كانت تطن طنين القبة إذا صيح فيها. ثم بورك فى هذا الطنين فكان يخرج منه اللفظ .

و أصله أن النفس العالية ذات الهمة القوية إذا امتلأ بكيفية سرت فيما يليه من الأنفس و الطبائع . وإذا سمعت من حجر أو شجر معرفة يقتضيها (٤) الوقت سرت قوتها فى الناس، فيسمعون ماسمعت.

وكان لداؤد عليه السلام صوت حسن و طبيعة تاليفية. فبورك فيها و فى كل تنفس طبيعة إيقاعية . فبورك فى أنفاسه . فحصل ترجيع لذيذ و هى مزامير داؤد عليه السلام .

وكان لداؤد عليه السلام وقائع عجيبة. منها أنه وقع بصره على امرأة جميلة فأحبها حبا شديدا. وكان رجلا عظيم الباه (٥) محبا للنساء

---

(١) فى م: "لتقيهم" بالتاء.

(٢) فى م: "متخيلته".

(٣) كما ورد فى القرآن المقدس: "إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والإشراق . والطير محشورة كل له أوّاب". سورة ص ١٨–١٩

(٤) فى خ: "تقتضيها" بالتاء.

(٥) فى خ: "عظيم الباءة".

لقوة مزاجه. فأساء الأدب فى ابتغاء نكاحها. ولم يقف عندالناموس الذى حدّله. فنبهه الله (على ذلك) (١) بأن مثل له الملائكة فى صورة الخصوم قال قائل منهم: هذا أخى له تسع و تسعون نعجة ولى نعجة واحدة. فقال اكفلنيها وعزنى فى الخطاب (٢). فتمثلت فى عالم المثال حذو ما اكتسبت نفسه، ونقم عليه بارئها. فتفطن داؤد عليه السلام أن هذه منام تعبيرها التنبيه على ما اقترف. فاستغفر ربه، و أناب إليه و تمسك بالكفارات حتى عفى عنه (٣).

ومنها أنه كان ذات ليلة يذكر ربه اذا انكشفت عليه الملائكة تنزل على بيت المقدس وكان انهدم فى زمن جالوت، ولم يبق رسمه. وكان فى البيت سر عظيم كسرّ بيت الله الحرام. فبوّء الله له مكان البيت كما بوّء لإبراهيم عليه السلام، ولكنه كان جاهد فى الله حق جهاده. وكتب فى صحيفته أنه هدم كثيرا من بنيان الرب، فلم يستطع أن يتم بيت الله على سبيل الملازمة لاعلى سبيل الانتقام والغضب: فرغب إلى الله أن لايتمه إلاحسنة من حسناته.

وكان فى زمن داؤد عليه السلام يعتدون فى السبت وكان فى النواميس المنزّلة على موسى عليه السلام المحافظة على السبت، فاصطادوا

(١) زيادة مابين القوسين من م.
(٢) سورة ص ٢٣.
(٣) قلت هذا ما كتبه الإمام المؤلف موافقا لما فى بعض التفاسير، والتحقيق خلاف ذلك. قال شيخنا العلامة عبيدالله السندى: "ونحن نرى اليوم فى كتب العهد العتيق التى تسند اليهود والنصارى إلى انبياء اليهود كتبا فيها حكايات منسوبة إلى داود عليه السلام وإلى سليمان عليه السلام

....

أفحش من حكايات كتب الهنود. يقول الإمام السندى: عندى فى بيان نبأ الخصم فكر خصوصى لم أستفده من أحد. إنما هو فهم من الله أوتيته ورأى اجتهدت فيه. وذلك أن الحكومة لها درجات. ذكرها الإمام الشهيد فى كتابه: "منصب الإمامة." أنقل منه فى دولة الإسلام درجتين. «١» الخلافة الراشدة سيرتها وسياستها على القانون العقلى المعروف فى الكتاب الكريم على أيدى أهل الأمانة. لايكون فيها جمع الأموال ولا تحقير الناس ولا استعباد أحد. «٢» ثم بعد الخلافة دور متصل به، ويتصل آثار الدور تدريجا قليلا قليلا. يكون فيه القصد أن يرتفع قوم على قوم بجمع المال من المساكين، ولايوخذ من المثرين. فى البداية يكون ذلك خفيا. وفى العاقبة يكون ظلم عظيم ظاهر كل الظهور.

فالمثل فى نبأ الخصم بيان وتنبيه على الفرق بين هاتين الخلافتين. مثل حكيم فيه فوائد جليلة. "إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة" تمثيل لملك ولفرد من الرعية. نسبة مال الفرد إلى مال الملك مثل نسبة واحد إلى تسع وتسعين. والملك له قوة بها يأخذ من مال الفرد حصة لنفسه. والمثل جلى فى الغاية. تنبه عليه داود عليه السلام. وفهم أنه ظلم عظيم وكان ذلك منه قبل أن يجعل خليفة. كان ملكا يجرى على نظام الملوك. "وظن داود أنما فتناه. فاستغفر ربه. وخر راكعا وأناب. فغفرنا له ذلك." إذ لم يكن يحسب أن فى أخذ الحكومة الأموال من الناس لأجل ضرورة الناس يمكن أن يقع فيه ظلم. "يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض. فاحكم بين الناس بالحق ولاتتبع الهوى" والهوى هو ميل النفس إلى ما يلتذ به الإنسان فى حياته؛ مقابل حرمان الآخر. فاثبت على سبيل الله. ولاتمت إلاعليها.

السمك فمسخهم الله قردة (١). وذلك بأن جعل السمك فاسد المزاج، متعفن الطبيعة. فلما أكلوها سرى سوء المزاج فيهم، وتغيرت أبدانهم، وتغير تولد النسمة فيها. فأسبغ هذا التغير ونبت الشعر. وألقى عليهم الصغار والهوان. وصاروا قردة، فكان هذا العذاب أقرب إليهم، فعذبوا. وكان نكالا لما بين يدى تلك القرية وما خلفها.

ومنها أنه رغب إلى الله فى ولد يخلفه من بعده. فاستجاب دعاءه فوهبه سليمان عليه السلام ذكيا دينا حكيما ذا سمت صالح، فصار شريكا لداؤد عليه السلام فى فصل القضايا المشكلة. فكان يتفطن بالخير النسبى فى الواقعات بخصوصها. فنفشت غنم قوم فى زرع. فجاؤا إلى داؤد عليه السلام: ورفعوا قضيتهم فقضى ما هو الناموس فى باب الاستهلاك (٢). وكان فيه بخصوصه ضرر لأهل الغنم. ففهم الله سليمان عليه السلام ما هو الخير النسبى فى تلك الواقعة بخصوصها.

راجع حروف أوائل السور تاليف العلامة موسى جار الله رح. ص ١٩٠ طبع بهوفال.

(١) فى م "القردة" قال المؤلف الإمام فى تاليف آخر: سر المسخ الذى كان زمن داؤد عليه السلام فى الذين اعتدوا فى السبت هو أن العمل الذى عملوه مثبت فى صحفهم وكان لهم تشبة ما بالقردة حسب أعمالهم الدنية وأخلاقهم الخسيسة فأوقع تلك الصورة على وجوههم. أما علمناك أن الصورة عرض ما فيمكن أن يوقع على غيره. راجع التفهيمات الآلهية ج ٢ ص ١٥٢ طبع المجلس العلمى.

(٢) كما ورد فى كلامه تعالى: وداود وسليمن اذ يحكمان فى الحدث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شهدين. ففهمنها سليمان. الآية. الأنبياء ٧٨-٧٩

Marfat.com

وعلى هذا الأسلوب أكثر قضايا سليمان عليه السلام.

وأوتي سليمان عليه السلام علوم الإرتفاق الثانى والثالث. فاستخلفه داؤد عليه السلام على قومه، وأوتي منطق الطير.

وتحقيق ذلك أن الطيور والبهائم لها علوم عادية تلهمها عند ما تعرض(١) لها الحاجات. وربما أراد الله أمرا مما هو خير للبهيمة مما هو خلاص من محنة، أو وصول إلى خير فألهم فى قلبها شيء. وربما أراد الله تعالى تعليم شيء لعبد (٢) فقيض طيرا، وألهم فى قلبه، وعلّم العبد بواسطة الطير كقصة هدهد. ولها أصوات تدل على حالات تعرض لها كالغضب والفزع والشبق والجوع، فعلم الله سليمان عليه السلام أكثر هذه العلوم. وربما علّم الله بعض أهل المعرفة أيضا شيئا من ذلك. ولهذه الأمور أسباب جزئية لاتكاد تضبط. وسخرله الريح والجن.(٣)

وذلك أن الأصل فى وجود الريح والنار وغيرهما قيومية الحق للماء الذى هو العنصر الأول فرب قيومية يصيربها (٤) الشيء ريحا، ورب قيومية يصيربها ماء وعلى هذا القياس.

والعبد الكامل ربما كان له مناسبة ببعض تلك القيومات. فكان لسليمان عليه السلام مناسبة بقيومية الريح والنار وكان لنفسه همة قوية تسخر الشيء فبورك فيها بتلك المناسبة فسخر الشياطين، يبنون لها مايشاء من محاريب، وتماثيل، ويغوصون فى البحر. ويعملون، عملادون

---

(١) فى خ: "تعن" موضع "تعرض".
(٢) فى خ: "بعبد" بالباء.
(٣) كما ورد فى القرآن المقدس: ولسليمن الريح عاصفة تجرى بأمره إلى الأرض التى باركنا فيها ألآية. ألانبياء ٨١.
(٤) فى خ: "به" بالضمير المذكر الغائب.

ذلك، وكان يجلس على سريره ثم يامر الريح فتحمله إلى حيث شاء.

وكان لسليمان عليه السلام وقائع عجيبة. منها أنه عرض عليه الخيل فأعجبته، واشتغل بها حتى فاته وقت طاعته، فأصابه غيرة شديدة. فقتل الخيل وعقرها. (١)

ومنها أنه ضاق صدره لتهاون الأمراء فيما يامر به من الحروب، فتمنى أن يواقع نسائه فتلد كل واحدة منهن فارسا يجاهد في سبيل الله. فتمسك بالأسباب وذهل عن التفويض إلى الله، والاستعانة به. والعارف لايتمسك بالأسباب حتى يستعين بالله قبل ذلك، ويرى سراية التدبير فيها فنبهه الله بأن لم تلد شيئا. فجعل منيه رقيقا بواسطة كثرة الشبق فلم يحصل منها التصوير إلاشقاسا قطا فألقى ذلك الجسد الغير المسوى على سريره، فعلم السر وتاب إلى الله، (٢) واستعان منه في الملك و قال رب اغفرلى وهب لى ملكا لاينبغى لأحد من بعدى.

ومنها أنه مرعلى وادى النمل وهو على متن الريح. فقالت نملة: يا أيها النمل أدخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده. احتاطت بمقدار علمها فسمعها سليمان عليه السلام وفقه (٣) مقالتها، وشكر على

---

(١) راجع قصته من القرآن المقدس في سورة ص ٣١–٣٣

(٢) كما ورد في كلامة تعالى: "ولقد فتنا سليمن وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب. سورة ص ٣٤. يقول شيخنا العلامة السندى رح: والذى كان يقع من داؤد عليه السلام عاد مرة ثانية زمن ابن سليمان ع وشكاه إليه الرعية ولم يرفع ابن سليمان شكوى الرعية. فذهب ملكه. راجع اماليه على تفسير القرآن الكريم.

(٣) كذا في خ. وفي م: "وقف."

ما أوتى من منطق الحيوانات. (١)

ومنها أنه تفقد الطير فلم يجد الهدهد. فأوعده وعيدا شديدا.(٢) فعلمه الله علما عجيبا رحمة بهدهد ليتخلص عن الوعيد، وبسليمان عليه السلام ليصفوله ملك بلقيس، وببلقيس وقومه ليؤمنوا. فكانت الحكمة يومئذ أن يعلم سليمان عليه السلام جلية حال بلقيس على لسان هدهد، وأشار الهدهد إلى أنها كافرة. وأنها أوتيت من المال والجمال أمرا عظيما ينبه على تلك العنايات المطوية فى هذه القضية. (٣)

ومنها أن الله تعالى خلع عرش بلقيس عن الأحكام الناسوتية،(٤) وأعطى له حكم المثال ثم ألبسه الناسوت فى هذا المكان لدعوة عبد صالح من أصحاب سليمان عليه السلام. ثم كاد سليمان عليه السلام كيدا يعرف به عقل بلقيس وجمالها لأنه كان يريد التزوج بها، فنكر العرش فعرفته بلقيس ورأى ساقها فرأى أحسن امراة. (٥).

(١) كما أخبر به الله تعالى: حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها ادخلوا مساكنكم. الآية. سورة النمل ١٨–١٩.

(٢) حيث قال: لأعذبنه عذابا شديدا أولأذبحنه أوليأتينى بسلطن مبين. سورة النمل ٢١.

(٣) كذا فى خ. وفى م: "القصة".

(٤) فى م: "الناسوية".

(٥) قلت: هذا ماساق الإمام المؤلف قصة سليمان عليه السلام و بلقيس حسب ما ذكره أكثر المفسرين. وإن شئت التحقيق فراجع امالى شيخنا العلامة السندى رح على تفسير القرآن الحكيم من سورة النمل وراجع أيضا التعاليق الأردية لشيخنا العثمانى رح على ترجمة القرآن لشيخ الهند رح.

ولم تزل الخلافة في آل داؤد عليه السلام. وربما تغلب عليهم ملك من ملوك الآفاق. فأوحى الله إلى أنبيائهم الوعد بالنصرة، ثم أهاج تقريبا عجيبا لنصرتهم. فتارةً هبت الريح الشديدة في وجوههم، فلم تصب سهامهم ببني إسرائيل، (١) وتارة لما باشروا الحرب سلط عليهم الحرارة والعطش فهلكوا وجبنوا، وتارة أهاج فيما بينهم عداوة فاقتتلوا فيما بينهم، ومضت على ذلك قرون.

ثم إن قوما بنيتوا طغوا وبغوا فكانت حكمة الله أن يامر أشعيا عليه السلام نبي ذلك الزمان أن يقوم بالإنذار ولو بواسطة رجل من شيعته. فبعث يونس عليه السلام. وإنما خصه لأن وجوده كان من جود الله وعنايته، لأنه ولد بعد أن كبر والداه(٢) بطريق خرق العادة. فالتوى فيه العناية وتكفل الله أمره في صباه بإلهام النعم والوحش أن يرضعوه، ثم تكفل أمر تزوجه بأن أرى هذا في منامه أن يخطب ابنته ذاك، و أري ذاك أن يزوج ابنته من هذا.

وبالجملة فكانت العناية الإلهية ملتوية في نسمته، فلذلك اختاره (٣) أشعيا عليه السلام للرسالة (٤) فجبن عن مقاومة الجبابرة، وكره أمر النبي كراهة طبيعية لاكراهة(٥) عقل. فاكتسبت(٦) نفسه من ذلك صبغا غليظا فعاقبه الله فضلت امرأته عن الطريق، وذهب الموج

(١) في م: "بني إسرائيل" بدون الجارة.
(٢) في م: "والده" بالإفراد.
(٣) في خ: "اختار" بدون الضمير المنصوب.
(٤) كذا في م. وفي خ: "لأمر سأله".
(٥) في م: "لاكراهية".
(٦) كذا في م. وفي خ: "فاكتسب".

Marfat.com

بولده ونقرته الذئب بولده الآخر فتألم وتاب إلى الله وترك الرفاهية واستقام على مشاق الدعوة.

فلما أتاهم دعاهم إلى التوحيد فكذبوه وحبسوه وآذوه فدعى الله تعالى أن يهلكهم بجهد همته. ولما يأن وقت هلاكهم. فإن الله لا يرضى بهلاك قوم حتى ينفذ اللعن فيهم كل منفذ. فاكتسبت نفسه هيئة شبيهة بالقتل بغير حق، فنظر(١) الله إليه وهو بتلك الهيئة. فالتوى عليه الهلاك فكان له وقائع.

منها ان القوم لما عاينوا العذاب تابوا إلى الله وتضرعوا إليه بأجمعهم. فتاب الله عليهم، وكشف عنهم العذاب، وسوّل الشيطان ليونس عليه السلام أن القوم كذبوه، وعزموا على إيذائه فخافهم (٢) وفر منهم من غير تضرع إلى الله. وإنما الحرى بالكمل أن يفوضوا أمورهم إلى الله فإذا أحسوا بتدبير منه سرى فى الأسباب اتبعوها فلما أبق اكتسبت نفسه هيئة أخرى، فركب سفينة فهاجت الأمواج فساهم فكان من المدحضين. فألقى نفسه فى البحر فالتقمه الحوت فسبح وكفر عن ذنبه فتاب الله عليه، وعادت الرحمة الإلٓهية إليه فقذفه الحوت بالعراء وهو سقيم. ونبت عليه شجرة من يقطين لئلا يقع عليه الذباب (٣)، ووقع فى قلوب الوحش أن يرضعوه بأن خيل إليها أنه ولدها فهاجت الرحمة فى صدورها كما تهيج(٤) على ولدها، وهكذا تكفل عن جميع

(١) فى خ: "فينظر" بالمضارع.
(٢) كذا فى خ. وفى م: "فخاف بهم".
(٣) راجع قصته من القرآن فى سورة الصافات من آية ١٣٩ الى ١٤٨.
(٤) كذا فى خ. وفى م: "يهيج" بالياء.

أموره حتى قوى وصح فيبست اليقطينة و ذهبت الظبية فحزن عليهما، فأوحى الله يايونس تبكى على يقطينة لم تسقها و على ظبية لم ترزقها ولا تبكى على مائة ألف أو يزيدون. وهذا الوحى ظهور لبعض ما ارتكبته نفسه.

وذلك لأنها إذا ارتكبت النفس الزكية صبغة لأبدانها تتفطن بتلك الصبغة، وبكونها مبغوضة عند رب العلمين إما بمنام أو بواقعة خارجية كالمنام أو بوحى إلهى كما يكون لسائر الأنفس فى البرزخ عند هدئ الطبيعة.

ثم مر يونس عليه السلام على قوم يجتنون ثمارهم ويلقونها على الأرض فقال لهم لم تفسدون ثماركم ولا تشفقون عليها. فأوحى الله إليه تشفق على ثمار هؤلاء ولم تشفق (١) على مائة ألف أو يزيدون.

ثم أضافه رجل وكان صنع فخارا فأوحى الله إليه أن مره بكسر فخاره فسبه الرجل وقال أراك مجنونا، فضربه الله مثلا لما أراد بقومه. ثم دعا الله لزرع رجل فأنبته الله أحسن نبات، ثم أهلكه فحزن عليه فضربه الله مثلا فتضرع إلى الله و (تاب إليه)(٢) فتاب الله عليه توبة خالصة وعاد التكفيل (٣) كما كان. فرد عليه امرأته وأعطاه مائة دينار. ورد عليه أولاده، ونقرته من بطن الحوت، وأظهر عليه الآيات. وجعل له لسان صدق فى قومه.

وذلك لأن الله تبارك وتعالى كالمرآة كما قال إنما هى أعمالكم

---

(١) فى م: "ولا تشفق".
(٢) من زيادة م. ولم توجد فى خ.
(٣) كذا فى خ. وفى م: "التكفل"

Marfat.com

أحصيها (١) عليكم فمن قام بصبغة حسنة جوزى بالحسنة، ومن قام بصبغة سيئة جوزى بالسيئة. والقلوب بين أصابع الرحمن. فإذا أراد بعبد نقمة قلب القلوب إلى ما يوذيه. وإذا أراد بعبد نعمة قلب القلوب إلى ما ينفعه. وهذا صنع الله دائما سيما (٢) فى حق المجردين لأمر الله ممن تكفل تربيته. وكان يونس عليه السلام منهم.

تاويل احاديث زكريا و مريم و يحيى و عيسى عليهم السلام

كانت حنة عاقرا وأسنّت فرأت حمامة تزق فرخا لها، فاشتاقت إلى الولد وبكت وتضرعت إلى الله فبارك الله فى تلك المشاهدة، وتلك الهمة فأزال عقمها وأعاد إليها شبابها نحو ما ذكر الأطباء من أن روية مصافدة الحيوانات قد تنبه النفس لإقامة القوى النسلية (٣) فيصير العنين صحيحا. فكذلك لما رأت الحنّة (٤) الحمامة تزق الفرخ تذكرت أمرالولد، وحنّت إليه أشد تحنن فاستقام منها ماكان فاسدا. ثم انها ألقى فى قلبها رغبة فى الولد الذكر فأثرت متخيلتها وتأكد

---

(١) فى خ: "أحصاها".

(٢) فى م: "لاسيا" بذكر لا.

(٣) فى م: "القوة النسلية".

(٤) فى م: "حنة" بدون الألف واللام. "وتزق" ماخوذ من زقّ الطائر فرخه بمعنى أطعمه بمنقاره.

عزيمتها وصحة رجائها تاثيرا ما (١) فى الجنين. فصارت مريم مباركة، فيها مزاج من أمزجة الفحول، ونشأت قوية الجسم كاملة المزاج، صحيحة الفطرة والنظافة كالهيئة التى تكون لأكابر الرجال. ولذلك قال النبي ﷺ، كمل من الرجال كثير. الحديث (٢) وكانت أنثى مذكرة حذو المونث من الرجال. وذلك لما التوى فى وجودها من التطلع إلى الله والرجاء منه (٣) واجتمعت الهمة على ذلك حتى نفذت فى القوة المصورة.

فلما وضعتها أنثى تفجعت إلى الله إذلم يكن المحرر إلا الغلمان. ولكن تقبل الله مريم للمحررية لأنها مباركة مذكرة. فألقى فى قلب زكريا عليه السلام وسائر السدنة القبول وإن خالف الرسم.

ومن عناية الله بمريم أنه لم يجعل كفيلها إلازكريا عليه السلام. فإنه كان نبيا حبرا شفيقا بها، وامرأته خالتها، فألقى فى قلوب السدنة

---

(١) فى م: "تاثيرا فى الجنين" بدون ذكر "ما".

(٢) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده والبخارى ومسلم والترمذى وابن ماجة عن أبى موسى رض. متن الحديث هكذا: كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام. راجع الفتح الكبير فى ضم الزيادة إلى الجامع الصغير ج ٢ ص ٣٣٣ طبع مصطفى البابى بمصر.

(٣) إضافة لفظ "منه" من م. ولم يوجد فى خ.

والأحبار أن يتحاكموا بإلقاء الأقلام فى النهر (١) يظن كل واحد أنه يصير إليه الأمر . وكان فى ذلك تقريب إلى ظهور الحق فى جانب زكريا عليه السلام .

ومنها أنه أظهر (٢) الآيات على مريم ، وخلق لها الفواكه بقول كن من غير سبب عنصرى كالذى يخلقه الله لأهل الجنة فى الجنة (٣) وكان زكريا عليه السلام عارفا بالله عالما بسنته فى خلقه فعرف أن لقوى الروحانيات ظهورا عجيبا فى تلك الأيام ، وأن التكوين يومئذ لا يتوقف على سبب عنصرى كالأيام التى كانت عند خلق آدم عليه السلام ، فرغب إلى الله فى ولد يخلفه من بعده يقيم الحبورية ويدعو الناس إلى طاعة الله فإنه كان يخاف أولاد أعمامه أن يا خذوا عرض هذا الأدنى فيضلوا ويُضلُّوا ، فرغب رغبة عظيمة فأجاب الله تعالى دعائه ، وجعله شابا ، وأزال عقم امرأته ، فتولد يحيى عليه السلام حكيما متوجها إلى الله (٤)

(١) كما ورد فى كلامه تعالى : ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون . آل عمران ٤٤ .

(٢) فى م : "ظهر" باللازم ، وهو غلط .

(٣) كما أخبر به الله تعالى : "وكفلها زكريا كلما دخل زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب . هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة . الآية . آل عمران ٣٧-٤١ .

(٤) راجع قصته من القرآن فى أوائل آيات سورة مريم من ٢ إلى ١٥ .

ولم يكن يصل إلى النساء لأن كل شيء لم ينعقد عليه الأسباب الأرضية يكون فيه ضعف بحسب الأخلاق الحيوانية ويكون محروما من مرافق الدنيا و إن كان مباركا فيما يرجع إلى الاقترابات الإلهية فكان زهد يحيى و عيسى عليهما السلام وحبهما الخمول و إعراضهما عن الرياسات، والملاذ من هذا القبيل. فإن الكمالات الإنسانية لاتظهر في نفس إلا قدر ماتمطئت لها النسمة بحسب جبلتها. فرب إنسان يكون زكيا فيكون كماله الحكمة، والرسوخ في العلم. ورُب إنسان يكون له ملكة العدالة، و السياسة فيتوجه إلى الله فيرزق الخلافة.

و طلب زكريا عليه السلام آية تدل على حمل امرأته بالولد المبشر فأوحى إليه (١) أن لاتكلم الناس ثلثة أيام. و ذلك لأن عناية الحق وهمم الملاء الأعلى لما حلت بالناسوت متوجهة إليه أحاط بنفسه هيئة ملكية فلم يستطع معها التكلم إلا رمزا خفيفا.

ثم إن مريم حاضت في أيام سريان قوى الروحانيات في تلك البقعة، فلما ظهرت انتبذت إلى مكان بعيد من الناس لتغسل (٢) و أسدلت سترا و نزعت ثيابها فأرسل الله إليها جبرئيل في صورة شاب سوى الخلق ممتلئاشبابا و جمالا (٣) فرأته مريم وهي شابة قوية المزاج

(١) كذا في م. وفي خ "فأوحى إليه انها ان لاتكلم" لعله من تصحيف الناسخ. وقصة طلب الآية وردت في القرآن هكذا: قال رب اجعل لي آية قال آيتك أن لاتكلم الناس ثلثة أيام إلا رمزا. الآية. آل عمران ٤٤

(٢) في م: لتغتسل.

(٣) كما ورد في كلامه تعالى: واذكر في الكتاب مريم إذا انتبذت من أهلها مكانا شرقيا. فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا. الآية. سورة مريم ١٦-٢٣.

Marfat.com

فخافت على نفسها الفساد، والتجأت إلى الله بقلبها ليعصمها، فكانت لها حالة عجيبة.

أما الطبيعة فحصل لها ما يحصل عند الجماع من ثوران القوى النسلية كما أن النظر ربما كان سببا للإنزال. وأما النفس فحصل لها الالتجاء إلى الله واعتصام به حتى ملئت من حالة عصمية فائضة من الغيب. وأما الصورة الإنسانية فكانت على شرف الظهور لمخالطة الروح الأمين.

ولما قال جبرئيل عليه السلام أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا (١) ابتهجت وانشرحت وأنست. ولما رأى جبريل هذا حالها نفخ في فرجها فدغدغت النفخة رحمها فأنزلت. وكان في منيها قوة مني الذكر فحملت، والتوى في الجنين ما كان غالبا على مريم من الاعتصام بالله، والالتجاء إليه والابتهاج، والانبساط بالهيئة الملكية. فإن حالتها سرت في كل قوة من قوى نفسها حتى المصورة والمولدة. والأمر (٢) ما أمر الأطباء لمن أراد أن يذكر ولده أن يتصور في حالة الجماع غلاما والتوى فيه حكم عالم المثال.

وخواص الروح من قبل نفخ جبرئيل إذ هو السبب في التصوير فحصلت في جبلته ملكة راسخة شبيهة بجبرئيل. وهذا معنى تائيد الله له بروح القدس.

ولما ولدت مريم أظهر الله عليها الآيات. منها أن الملائكة نادته بجميع ما يرزق الله ولدها من الكمالات وعلمت إجمالا جميع حالاته وكمالاته وقت الصبى والشبابة والكهولة.

---

(١) سورة مريم ١٩.
(٢) في خ: "ولأمرما" بلام الجارة.

ومنها أنها التجأت إلى نخلة يابسة فسرى فيها الحيوة واخضرت وأثمرت فى سويعات، وأنبع الله لها عينا.

ومنها أنه قذفت بالزنا (١) فدفع الله عنها القذف بإنطاق الولد فى غير وقت النطق لما التوى فيه (٢) من القوة الروحية، ولما شبّ (٣) عيسى عليه السلام رزق العلم والكتاب والحكمة من غير تعليم، و ظهرت عليه (٤) الآيات فكان يخبرهم بما يأكلون ويدخرون فى البيوت وكان يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فيكون طيرا بإذن الله (٥) فكان يسرى فيها الحيوة فى ضمن سراية نفخته فى الطين فيكون الأمر دائرا بين القسر بالنفخ وبين الحيوة، ثم يقع ميتا.

وكان يحى الموتى بإذن الله. فالنفس المتعلقة بالجسد تعلق الوهم لا تعلق الحيوة. يبارك الله (٦) عليها عند دعوة عيسى عليه السلام، وانعكاس الحيوة منه فينقلب الميت حيا. ثم إذا فارقه عيسى عليه السلام مات فى الحال.

وكان فى دين عيسى عليه السلام سعة وسهولة (٧). فأحل

---

(١) كما أخبر به الله تعالى، قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا. يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا. فأشارت إليه قالوا كيف نكلم (الآية). سورة مريم ٢٧–٢٩

(٢) كذا فى م. وفى خ " لما التوى من القوة" الخ.

(٣) فى خ: "شبت" وهو من سهو الناسخ.

(٤) فى م: " فظهرت عليه" بالفاء. وفى خ: " عليها " موضع "عليه".

(٥) راجع سورة آل عمران ٤٩.

(٦) فى م: " يبارك عليها" بدون ذكر الجلالة.

(٦) فى م: "سهولة وسعة" بالتقديم والتاخير.

لهم بعض ما حرم عليهم (١) وذلك لأن النواميس الشاقة إنما تنعقد في مصادمة الملكية بالبهيمية وكان عيسى عليه السلام كأنه ملك يمشى على وجه الأرض فاتهمه اليهود بالزندقة، وأجمعوا على قتله، فمكروا ومكر الله والله خير الماكرين.

فجعل له هيئة مثالية، ورفعه إلى السماء، وألقى شبحه على رجل من شيعته أوعدوه فقتل على أنه عيسى عليه السلام (٢). ثم نصر الله شيعته على عدوهم فأصبحوا ظاهرين.

تاويل احاديث نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه اجمعين

أما علومه ﷺ فأصولها التى ترجع (٣) إليها تاويلها أمور: منها أن الملاء الأعلى كان بينه ﷺ وبينهم مناسبة جبلية من قبل كون نفسه الناطقة عالية، ومزاجه النسمى سابغا معتدلا لا يستوجب الأخلاق الفاضلة (٤) وكون اجتماعهما على وجه الاصطلاح (٥). فأوجب هذا كله أن يتحقق من جانبهم فى قلبه تائيد مستمر يتشبح

(١) كما أخبر به الله تعالى حاكيا عن لسان عيسى عليه السلام: ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم. سورة آل عمران ٥٠.
(٢) راجع سورة النساء ١٥٦.
(٣) فى م، "يرجع" بالياء.
(٤) اى زياده يعنى ردى. كذا فى حاشية النسخة الخطية.
(٥) اى على وجه الاتفاق. ولا يكون مقتضى مزاجه النسمى مصادما لمقتضى نفسه الناطقة.

ذلك التائيد تارة بأن يتراؤ له و تارة أن يخاطبوه و يلهموا فى قلبه وتارة أن يراهم فى منامه. و مثل ذلك: أن الرجل الشجاع الكامل فى شجاعته (١) يهيج خلته (٢) ذلك فيه ساعة بعد ساعة بأدنى سبب داعية مقاومة الخصوم والاقتحام فى الحرب و الضرب . وكذلك كل خلق بالنسبة إلى آثاره . فلذلك كان كلما تفرغ لمافيه من تائيدهم فى يقظته أومنامه ترشح من هنالك بحسب الأسباب الحافة به ما شاء الله تعالى.

فمن جهة هذه الخلة كان مصروف العزيمة اليهم محفوفا ببركاتهم فى كل وقت سواء فى ذلك أوقات اشتغاله بالجهاد و أوقات اعتكافه فى مسجده . و من جهة هذه الخلة كان أكثر معجزاته حصول البركة فيما يتبرك (٣) عليه من طعام و شراب وغير هما.

و منشأ ذلك أن النفس التى هى بمنزلة التمثال لتائيدهم (٤) كلما توجهت إلى شيء بجهد همتها انفتح لامحالة فجّ واسع من هممهم. وإن هممهم لتسخر (٥) عالم المواليد بالإلهام و الإحالة والتقريب . فإن كان فى همتهم حدوث نار مثلا ولاسبب لها فى المواليد أو هنالك سبب ضعيف لا يستتب لإحداثها أوجبت همتهم حدوثها وقس على ذلك الإلهامات.

و من جهة هذه الخلة شق صدره ﷺ وملىء حكمة و إيمانا

---

(١) كذا فى م. و فى خ: "مثل ذلك لأن" الخ.
(٢) فى خ: "تهيج خلقة". لعله من سهوالناسخ.
(٣) فى م: "يبرك".
(٤) اى لتائيد الملاء الأعلى.
(٥) كذا فى م. و فى خ: "تسخر" بدون اللام.

وآسرى به إلى بيت المقدس ثم(٣) إلى السماوات ثم إلى ماشاء الله، ورأى أرواح الأنبياء عليهم السلام ورأى الملائكة متشبحين بصورهم وأشكالهم وخاص إلى صورة الحق في قلب الإنسان الأعظم (١) فتشبج بأمثل ما هنالك.

ومنها أن استوجب عليه السلام باستعداده التى خلقه الله عليه أن يتلقى من الملاء الأعلى علم تهذيب النفس وذلك لكونه ذا نفس عاليه ونسمة سابغة ومزاج مصطلح فإنه (٢) وجد الأخلاق الأربعة التى تدور عليها أقسام البر وعلى أضدادها فنون الإثم فى نفسه وتأذى ممايضاده كما يجد إبن آدم الجوع والظماء فيرغب فى الطعام والشراب ويتأذى من فقدهما، ثم صارمند فعا إلى ظهور آثارها كاندفاع الشجاع(٣) إلى آثار الشجاعة، والرجل المجبول على العدالة إلى سياسة المدنية والمنزل. وهو قوله تبارك وتعالى، وأوحينا إليهم فعل الخيرات (٤). ثم تأمل عليه الصلواة والسلام فيما كان يومئذ من أعمال البر والإثم فعرف منشأ القبيلتين من الهيئات النفسانية وتاثيرهما فى تزكية النفس وتلويثها. وكيف يزيد أعمال البر فى الحالة المطلوبة، وكيف يزيد أعمال الإثم فى الحالة المهروب عنها. وعرف موقع كل عمل ووزن

---

(١) أى إمام نوع الإنسان.
(٢) فى م: "الذى" بالموصول المذكر.
(٣) كذا فى خ. وفى م: "وذلك أن" موضع "فإنه".
(٤) أصل الآية هكذا: وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلوة وإيتاء الزكوة وكانوا لنا عابدين. سورة الأنبياء ٧٣. وفى خ: "أوحى وهو من غلط الناسخ.

كل شيء، ثم عرف كيف تقضى الأعمال فى الحيوة بعد الممات الى الخير والشر. ثم عرف كيف يوتى بالأعمال البرية وكيف يجتنب عن الأعمال الإثمية. وأما آداب الأعمال ومكملاتها ودواعيها فكل هذه العلوم تنبجس (١) من التأمل فى مرآة نفسه وجدانا أو مقايسة.

ومنها أن رزقه الله تعالى فطنة يعرف بها الارتفاقات من آداب المعيشة وتدبير المنزل، والمعاملات وسياسة المدنية وسياسة الأمة، فعرف المصالح التى يجرى القوم فيها، وعرف الصحيح من السقيم وعرف الذى يليق بالآراء الكلية النازلة من تلقاء الحق والآراء الجزئية الناشئة من هواجس النفوس وجورالرؤساء والملك (٢) ونحو ذلك. ومثل ذلك كمثل الفقيه يتأمل فى مسائل مشائخه فيتفطن لكل شيء وجها، ويعرف الأمور الكلية التى تحروها، ويعرف الصحيح من الفاسد، وكمثل الملك الحكيم العادل يعرف رسوم الملوك من قبله والمصالح التى تحروها، ويعرف الذرائع والدواعى فيسد الشيء بسد ذرائعه. وعسى إن تأملت تاريخ الملوك تجد أن أحدهم قصد إلى ترخيص السعر (٣)، فتفطن بسبب (٤) الغلاء من قلة الزراع أوقلة التجار فسعى فى رفع السبب وتوسل به إلى المطلوب أوقصد إلى أن يامن من شر قوم فأمرهم أن لا يركبوا الخيل، ولا يلبسوا السلاح، أو إلى أن لا يتظالم عليه أعوانه فنهى أن يتناكحوا فيما بينهم، ولا يتزاوروا الإباذن الملك ونحو

(١) كذا فى خ. وفى م: "هذا العلوم ينبجس".
(٢) لم يوجد فى م: "والملك".
(٣) كذا فى م. وفى خ: "ترخص السعر".
(٤) فى م: "سبب" بدون باء الجارة.

ذلك ممالا يحصى كثرة، فهكذا يكون التخريج التفطن بمصالح السياسة.

و منها أن الله كان من لطفه بعباده إرادة أن يفجر فى الناس عينا من رحمته يردها طوائف العرب و العجم، فيرووا من عطش مهلك. و ذلك أنه كان العرب والعجم منقادين لرسوم فاسدة تنا فى الإرتفاقات الصالحة مولّين ظهورهم عما يهمهم فى دينهم فكانوا أجهل خلق الله بما يهذب نفوسهم أذهلهم عن ذكر الآخرة أغفلهم عن جلال الله و توحيده، وأعبدهم للأصنام والطواغيت أظلمهم على الضعفاء وأقطعهم للأرحام. فكان اللطف بهم أن ينبهوا على وخامة ماهم فيه، ويهدوا إلى الحق، ويواخذوا بالطريق المستقيم أشاؤا أم أبوا. و هذا اللطف هو باب من أبواب التدبير. والتدبير من بقايا الخلق و الخلق من بقايا الإبداع.

و ذلك أن الله تعالى لما أبدع النفس الكلية أبدعها بحيث تتمطى (١) لأحوال كثيرة تصير تارة إنسانا وأخرى فرسا، وأخرى حجرا إلى غير ذلك. فكان إخراجها من القوة إلى الفعل فى هذه الأمور على النظم الطبيعى الذى هو الخير من بقايا إبداعها، ومن مقتضيات الجود الذى اقتضى الإبداع. ثم لما حصل العالم بتفاصيله وحصل لكل نوع وشخص صورة مقتضية لآثار بخصوصها ولم يكن صدّها عن آثارها خير و لا ظهور الحوادث التى تنافى نظام الخير خيرا وجب أن يهيج فى الأرض دواعى، و بحول تحويلات تقرب الأمور إلى النظام الخير. و ذلك من تمام الخلق و تكميله، ومثل الجود الذاتى فى هذه الثلثة كمثل سيل يمشى على وجه الأرض حتى إذا زاحمه سد تخلل الماء فى ثلمات هنالك،

(١) فى م: "يتمطى" بالياء.

فخرج من ثلمة مثلثا ومن ثلمة أخرى مربعا، ومن ثلمة ثالثة مدورا ثم زاحم سد آخر أشد (١) من السدالأول وأوكد فنفذ الندى والرطوبة فى مسام الأرض والريح فوصل من هذا السبيل أثر من آثار الماء والله اعلم.

وبالجملة فتمثلت إرادته تلك فى الملاء الأعلى وتشبحت شخصا مثاليا نسميه بنبى الأنبياء، وجذر الشعائر الإلٰهية، وترشحت من هنالك قطرات الرحمة فى الأرض، ونبعت عيون اللطف من مسام المواليد فى كل زمان ودورة بحسب المشخصات الواقعة فى تلك الأزمنة والأدوار فكان ترشحها فى بعض الأزمنة على قلوب بنى آدم. وأولئك الرسل والأنبياء. ثم لم يكن ليتم الأمر حتى يوجد فى نظام الأرض مادة تصلح لانطباع تلك الصورة كمثل المرآة تنطبع فيها صورة الرجل. فالرجل المنطبع ههنا (٢) صورته هى الإرادة المتمثلة فى الملاء الأعلى. والمرآة رجل من بنى آدم يفعل من باب الاختصام والقتال، وبذل المال وتاليف الرجال مايفعله ملوك الناس.

والانطباع: أن ينفث فى أفعاله تلك روح قدسى. هى تلك الإرادة المتمثلة. فكانت المادة فى هذه الدورة ذاته ﷺ فنبعت من هنالك عين النواميس، وأعقب نبوعها ضبط المهمات (٣) وتعيين المقادير لئلا يكلف الناس الا بأمر مضبوط لايتطرقه التحريف ولايتخلله التسلسل (٤) ويكون كالأمر المحسوس يتداوله القوم ويتمسكون به

(١) كذا فى م. وفى خ: "سد أخرى من السدالأول".
(٢) فى م: "هنا" موضع "ههنا".
(٣) كذا فى خ. وفى م: "المبهمات".
(٤) فى خ: "التسلل".

في تقربهم إلى الله فأنزل الله القرآن العظيم، وشرع لهم الطواف بالبيت العتيق، (١) وأمرهم بالنواميس (٢) ولم يتعين القرآن إلا في اللغة العربية ولا البيت إلا بما كانوا يطوفون به قرنا بعد قرن، ولا النواميس إلا بما شاعت بين الأمم الأسماعيلية والإسحاقية. وهو قوله تبارك وتعالى: وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم. (٣)

ثم أنزل الأمانة في جذر قوم من خيار أصحابه فانبسطت داعية الجهاد في صدورهم كما تنبسط الهواء في الزق عند النفخ فصاروا أمة أخرجت للناس. (٤) وجاءت الرحمة تحتل دونهم، وتتقي بهم حتى جاء أمر الله ودخل الإسلام كل بيت من وبر أو مدر بذل ذليل أو عز عزيز.

ومنها أن نفسه القدسية استعدت أن ينكشف عليها حوادث العالم الماضية والآتية. وذلك لأن الوقائع الكلية تتشبح في الملاء الأعلى بصورها (٥) المثالية تشبحا عظيما والوقائع الجزئية التي هي ناشئة من أسباب خفيفة أو لا تؤثر في الملاء الأعلى رضا ولا سخطا لا تتشبح (٦) كبير تشبح إلا قريبا من وقت وجودها. أما الآتية فلأن لها أسبابا توجبها ولأسبابها أسبابا وهلم جرا. فاذا بلغ النظام إلى جملة من الأسباب

---

(١) إضافة "العتيق" من م. ولم يوجد في خ.
(٢) في م: "بنواميس" بدون الألف واللام جمع الناموس بمعنى الشريعة
(٣) سورة الحج ٧٨.
(٤) تلميح إلى آية ١١٠ من آل عمران: كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر. الآية.
(٥) كذا في م. وفي خ: "بصورة".
(٦) في خ: "لا يتشبح" بالياء.

أوجب جود الله ورحمته أن تتشبح صورة الحادثة المسببة فى مداركهم. وكلما تضاعفت الأسباب، واقترب الوقت تأكد التشبح.

وسر ذلك كله أن معرفة النظام الطبيعى الذى هى الصورة الجزئية للنفس الكلية (١) هو العلم الأعلى. فأزكاهم يستوجب أن تتشبح عنده الحادثة فى أول بدوه ومن دونه (٢) يستوجب أن تتشبح (٣) بعد ذلك ثم وثم.

وأما الماضية فلأن العباد لهم صور معلقة فى جو (٤) فى حظيرة القدس أدركنا ذلك بالكشف. فإذا عمل العبد عملا صالحا تكمل به نفسه ويرضى به الملاء الأعلى عنه ويرحمه به الله تبارك وتعالى أبدا فى صورته ضوء ونور، ونكتت نكتة بيضاء، وإذا عمل عملا سيئا تفسد به نفسه ويسخط لأجله الملاء الأعلى ويلعنه به الله تبارك وتعالى(٥) بدأ فى صورته ظلمة وسواد، ونكتت نكتة سوداء. وهذه الصورة

---

(١) إن شئت تحقيق النفس الكلية على راى المؤلف الإمام بما لامزيد عليه فراجع تاليفه "سطعات" فى الفارسية.

(٢) كذا فى م. وفى خ: "من دونه" بدون الواو.

(٣) فى خ: "أن يتشبح" بالياء.

(٤) كذا فى م. وفى خ: "فى الجوهر".

(٥) ورد فى الحديث: إن الله إذا أحب عبدا دعا جبرائيل فقال: إنى أحب فلانا فأحبه قال فيحبه جبرائيل ثم ينادى فى السماء فيقول إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى الأرض وإذا أبغض عبدا دعا جبرائيل. الحديث. وقال رسول الله ﷺ: الملائكة يصلون على أحدكم مادام فى مجلسه الذى صلى فيه. الحديث. راجع حجة الله. باب ذكر الملاء الأعلى ص ١٥.

تستقر فى حظيرة القدس إلى أن يحين انقضاء هذه الدورة. فإذا انقضت بطلت الصور. فما من عارف لحق بهم إلا و ينكشف عليه ماشاء الله من أحوالهم بالنظر فى تلك الصور. منهم المقل، و منهم المكثر على درجاتهم عند الله. و من هذا القبيل بعض كلامنا فى ذكر السلف من الأنبياء و الأولياء.

و ربما كانت للواقعة العظيمة من إنعام بليغ أو إهلاك مستطير صورة مستقرة فى مدارك الملاء الأعلى يعرف فيتفطن من هنالك. و ربما قرع سمع العارف حديث يتحدثه الناس على غفلتهم و نكرتهم فيتلخص للعارف من تاويل تلك الأحاديث مايتفطن الصحيح من الموضوع فيهتدى للحق المطابق للواقع.

و بالجملة فقلما كان أحد من اللاحقين بالملاء الأعلى الداخلين فى تضاعيفهم إلا و ينطبع فى لوح نفسه من تلك الوقائع العظيمة ما يناسب جذر مزاجه الذى خلق عليه.

و لما كانت نفسه القدسية ﷺ انطوى فيه رياسة العالم و إمامة الملة، و شاركت الملاء الأعلى فى التدبيرات العظيمة مشاركة قوية استوجبت(١) أن ينطبع فيها من قصص السابقين، و الوقائع المجمعة أن تحدث ما له نسبة بالملة إشاعة أو إضاعة أو هو مقتضى النظم الطبيعى فى الإنسان، أو مقتضى الأسباب العظام، و نحو ذلك و قائع القيامة (٢) كظهور الدجال و وجود المهدى، و نزول عيسى عليه السلام، و دابة الأرض، و خروج ياجوج و ماجوج أشد الوقائع المجمعة تشبحا لأن مبداها النظم الطبيعى.

(١) فى م: "استوجب".

(٢) فى م: "و وقائع"

تفصيل ذلك أن مبدأ ظهور القيامة و أشراطها أمور ثلثه. أحدها حوادث مستطيرة تهلك الإنسان و الحيوان وشيئا كثيرا من النبات و المعدن كالخسف، و الموتان، و الزلازل و الصيحات، و المشاجرات لأسباب سماوية و أرضية توجبها.

و الثانى أن يصعد من الأرض هيئات فاسدة، بعضها من قبل أعمالهم القصدية، و بعضها من قبل أمور لا اختيارلهم فيها، فتمثل الجو بتلك الألوان الفاسدة. فلاينزل جود الله إلامتلبسا بتلك. فيستعد العالم لحدوث نفوس خارجة عن الحد الذى وضعه الله لنوع الإنسان إما إفراطا أوتفريطا. فالبعض يميل إلى عالم التجرد و الإنسلاخ، والبعض الآخر إلى البهيمية فيحدث فى نوع الإنسان مرض. ثم يتصعد هيئات أخرى أشد من تلك الهيئات قبحا و أو فرنتنا فينزل جود الله متلبسا بها فيستعد العالم لحدوث نفوس أشد خروجا من الحالة الأولى و هلم جرا حتى يختل المقائس فلايصدق نجومى فى نجومه، و لاطبيعى فى طبه، و ينبو الخير كل النبو و لايوجد فى الأرض أحد يقول الله الله، و يحدث أكثر الحوادث أو يتشخص للأسباب الطارئة كالدعاء و التوجه إلى الأرواح و نحو ذلك فعند ذلك يجب فك النظم.

و الثالث سر خفى فى الحكمة الربانية لايتناوله ليم كمالا يتناول كون النار حارة يا بسة دون الماء، وكون الشمس تجرى من المشرق إلى المغرب، فى حركتها سرعة، (١) و من المغرب إلى المشرق حركتها السنوية.

ثم بعد ذلك فى التشبح و قائع الملة. و الخلافة لاسيما ما وقع فى

(١) فى م: "السرعة" بالألف و اللام.

فی زمن الخلفاء الراشدين من فتوح العراق والشام والمصر وكثرة الأموال وإن هلك كسرى فلاكسرى بعده، وهلك قيصر فلاقيصر بعده. ثم وقائع الملك العضوض الذى كان فى بنى أمية فإنها تشبحت تشبحا قويا، ثم وقائع أيام بنى العباس، ثم فتن الترك السلاجقة والچنگيزية وغيرهم.

ولهذه التشبحات طبقات ودرجات فإذاقيس إلى المتشبح تشبحا شديدا ما هو دون ذلك كان كأنه ليس بشىء فيؤتى بلفظ الحصر مثلا فيظن من لم يرزق تبين الأمر على ما هو عليه خلافا ومناقضة.

وذلك كقوله ﷺ إن ملكه بالشام أتى بلفظ يوهم الحصر (١) فيتحير (٢) المتحير من قبل أن الملك فى غير الشام كان أوسع وأوفر. والحق أنه ﷺ نظر إلى التشبح الذى كان فى الطبقة الثانية فأخبر عنه كأنه ليس ما فى الطبقة الثالثة تشبح شىء.

وكذلك قال ﷺ: لايزال الدين ظاهرا حتى تكون(٣) إثناعشر خليفة فيشك (٤) الشاك، ويقول إن كان أراد خلافة النبوة فقدا نقضت بثلاثين سنة وأربعة خلفاء، وإن كان أراد العدل والديانة فقد كان فى هذه الخلفاء الإثناعشر من بعده أحسن منه، وإن أراد اثناعشر بالتفريق فقد كان العادلون أكثر من ذلك.

---

(١) كذا فى خ. وفى م: "بلفظ الحصر".

(٢) فى م: "فتحير" بالماضى.

(٣) فى م: "يكون" بالياء.

(٤) لم أقف على هذا اللفظ. لعله حاصل المعنى، وقد جاء فى سنن أبى داؤد لايزال هذا الدين عزيزا إلى إثنى عشر خليفة كلهم من قريش. راجع سنن أبى داؤد كتاب المهدى ج ١.

والحق أن للملة انحطاطا وتغيرا درجة درجة فالذى كان فى أيام الخلفاء الأربعة لم يوجد فى غيرها، والذى كان فى أيام ملك الشام لم يوجد بعدها. فعدّ النبى ﷺ تلك الطبقتين ولم يكترث لما بعدهما كثير اكتراث. فتمت الطبقتان فى إثناعشر خليفة، كلهم من قريش. الأربعة المهديون ومعاوية وعبدالله بن الزبير وعبدالملك وأربعة من أولاده وعمر بن عبدالعزيز ثم وقع ما وقع. وكذلك قرب القيامة، وأخبر أنه بعث بين يدى القيامة كأنه لايعد ما قبلها من الوقائع والمدة شيئا.

ومنها أن النور الذى سميناه من قبل بنبى الأنبياء جدير بأن يصير (جارحة) (١) من جوارح الحق فى نزول رحمة خاصة منه تبارك وتعالى تفضى (٢) إلى أن تحيط بنفوس العصاة من بنى آدم غاشية عظيمة.

منها تبدل سيئاتهم حسنات وتكفر عنهم ما تلوثت به نفوسهم من الهيئات الخسيسة الدنيوية وصيرورته جارحة من جوارح الحق يومئذ منشأها هو اللطيف الذى صار فى يومنا هذا سببا لنزول الشرائع وبعث الرسل وتعيين شعائر الله فى الأرض لكن ذلك يتوقف على همة حثيثة من رجل كامل حق الكمال لتكون همته كالقالب لسبيكة الذهب أوكالوكر للطائر أوكالصورة للمادة المبهمة.

ومثل ذلك مثل النفس الكلية(٣) لاتنزل إلى الأرض ولاتظهر فى المواليد ولاتتعين فى القوالب الخاصة إلاباستعدادات أرضية واستمطارات

(١) إضافة "جارحة" من م.

(٢) فى م: "تقضى بالقاف."

(٣) فى م: "النفوس".

هيكلية. و لذلك كانت نطفة الوالد و رحم الوالدة شرطا لفيضان النفس الناطقة، وحلول الهواء و الماء فى الأرض و وقوع البذر هناك شرطا لفيضان النفس النباتية، وعلى هذا القياس.

و قد قدر الله تعالى فى سابق قدره أن يكون ذلك الرجل هو محمد ﷺ فيرغب هو يومئذ إلى ربه تبارك وتعالى رغبة عظيمة فيهطل بسبب رغبته جود الله من طريق نبي الأنبياء. فانطوى هذا السر فى نفسه فعرفه فى ضمن معرفة ذاته و أوجب ذلك معرفة وقائع الحشر، و أوجب ذلك تقدمه ﷺ على الناس قاطبتهم، و أن يكون الناس كلهم آدم فمن دونه تحت لوائه، وأن يكون هو عليه السلام فاتح الشفاعة الكبرى و يكون أسعد الناس لشفاعته (١) من حصّل من نفسه استعدادا لها. بمحبته ﷺ و إكثار الصلوة عليه فانشعب من كماله هذا له علوم أربعة.

أحدها علم المحاسبة. وحقيقة المحاسبة إطلاع النفوس (٢) تشبث إبذيولها، وانطبع فى ألواحها من الأعمال الصالحة، و الفاجرة و بخاصية كل عمل من إعداد عذاب أو ثواب. وإنما تطلع يومئذ بسبب انقشاع الظلمات المتراكمة الدنيوية عنها. (فالمحاسبة إنما يتخصص يومئذ لأمر يرجع إليهم وأما جانب الحق) (٣) فالمحاسبة قائمة منه كل حين لاتجددلها. وإذاجاء وقت المحاسبة أوجبت الحكمة الإلهية أن يظهرأشباح يدس فيها روح المحاسبة، ويخصصها مزاج

(١) فى م: "بشفاعته" بالباء.

(٢) فى خ: "مما" بالميم.

(٣) كل مابين القوسين لم يوجد فى خ.

الإنسان الأكبر كما يخصص مزاج الإنسان الأصغر أن يتشبح فی مدارکه الجبن بصورة الوبر و الغضب بصورة الأسد.

و رؤس الأشباح على مابينه ﷺ أمور.

منها عرض الأعمال و تشكلها بأشكال مناسبة جوهرية تلزمه نوع لزوم كمابين في مانع الزكوة حيث قال: سيطوق شجاعا أقرع أوتطاءه الإبل بأخفافها، و تنطحه البقر بقرونها (١) و في الغاصب و الغال نحو ذلك. و قال إن الغادر ينصب لواء عند استه (٢). و قال الله تعالى: نورهم يسعى بين أيديهم(٣) أو عرضية كما بيضاض الوجوه واسودادها، و طول عنق المؤذن و نحو ذلك.

و منها قراءة الصحف و مناولتها من اليمين و الشمال ووراء

---

(١) كما رواه ابن ماجة عن أبي هريرة رض أن رسول الله ﷺ قال: تاتي الإبل التي لم تعط الحق تطأ صاحبها بأخفافها و تاتي البقر و الغنم تطأ صاحبها بأظلافها و تنطحه بقرونها و ياتي الكنز شجاعا أقرع فيلقى صاحبه يوم القيامة فيفر منه صاحبه مرتين ثم يستقبله فيفر فيقول مالي ولك. فيقول أنا كنزك فيتقيه بيده فيلقمها. راجع سنن إبن ماجة ص ١٢٨ طبع أصح المطابع.

(٢) روى البخاري بسنده عن ابن عمر قال: سمعت النبي ﷺ قال: لكل غادر لواء يوم القيامة ينصب. راجع صحيح البخاري– باب إثم الغادر ج ١ ص ٤٥٢ أصح المطابع بكراتشي.

(٣) سورة التحريم ٨.

Marfat.com

الظُهر ومكالمة الله بقوله: ألم أذرك ترأس وتربع (١).

ومنها أن يؤمر كل أمة أن تتبع معبودهافيهوى بهم (٢) فى نار جهنم ويخلص المومنون بتجلى خاص استوجبوا له باعتقادهم الحق فى الله وصفاته.

ومنها نصب الميزان ووزن الأعمال حتى البطاقة التى فيها لاإله إلا الله.

ومنها ظهور أخلاق كامنة لم تتشبح بالأعمال فى الدين (٣) كثير تشبح بأن يامر الله بشئ فيعمل المامور فيظهر منه الانقياد والرجاء ونحو ذلك.

ومنها نصب الصراط وظهور كلاليب من نار. فمنهم من يكون كالبرق الخاطف، أوكالريح أو الجواد المضمر. ومنهم الماشى السالم. ومنهم مكدوش ناج. ومنهم من تختطفه الكلاليب فيهوى فى نار جهنم. وهذه كلها أشباح لمحاسبة الحق، وإطلاع النفوس على حال ما اقترفوه.

---

(١) قلت: هنا فى خ تصحيف، حيث كتب: أى قل أدرك ترأس وتربع. قلت وأصل الحديث هكذا: ألم أذرك تربع وترأس أى تاخذ ربع الغنيمة. يقال: ربعت القوم أربعهم إذا أخذت ربع أموالهم مثل عشرتهم، يريد: ألم أجعلك رئيسا مطاعا لأن الملك كان ياخذ الربع من الغنيمة فى الجاهلية دون أصحابه ويسمى ذلك الربع المرباع. راجع النهاية فى غريب الحديث للحافظ ابن الأثير الجزرى ج ٢ ص ٦٢–٦٣ مطبع الخيرية بمصر.

(٢) إضافة "بهم" من م.

(٣) كذا فى خ. وفى م: "الدنيا" موضع "الدين".

Marfat.com

و ثانيها علم نزول الرحمة من طريق نبى الأنبياء، و حقيقته ماقد بينا و يتمثل بمثل كثير (١).

و منها حلول شفاعة الأنبياء و الرسل و الأولياء، و القرآن، و الأعمال، ومخاصمة الأنبياء، و الشهداء من أصحابهم للكفار المتمردين وضحكهم منهم، وشماتتهم مما أصابهم.

و منها ظهور الحوض و أن يسقى منهم المؤمنو ن المخلصون، و يزاد عنهم من سواهم كما تزاد (٢) الإبل الغريبة.

و ثالثها علم تشبح الرفاهية و الباساء بأشباح مناسبة جوهرية أو عرضية .

و اعلم أن النفس الإنسانية مادامت فى الدنيا فانها ترتفق و تترفه بوجوه كثيرة يتوارد (٣) عليها بنو النوع كالمطعم الهنىء و المشرب المرىء و المنكح الشهىّ و الملبس الوضى و المسكن البهى و وجوه كثيرة يختص بفرد فرد. ومنه قوله ﷺ إن الله خلق جارية أدماء لعساء لجعفر(٤) من أجل أنه علم شهوة جعفر للأدم اللعس وقوله عليه‌السلام فى الإبل والفرس ونحو ذلك. فما من حالة فارهة يتمثل (٥) بها فى منا منا الأنس، والإنشراح والإطمينان إلا و يعطاها المؤمن فى الجنة.

---

(١) فى م: "تتمثل" بالتاء مكان الياء.

(٢) فى م: "يزاد" بالياء.

(٣) فى م: "فيتوارد".

(٤) لم أقف على من أخرجه و أيضا لم أقف على مراد ما فى الحديث الثانى. و الله أعلم وعلمه أتم و أحكم.

(٥) فى م: "تتمثل" بالتاء.

وربما من حالة بائسة تتمثل بها النفرة و الوحشة وضيق الخواطر إلاويعطاها الكافر و المنافق فى النار. فهذا كلمة مجملة شرحها النبى ﷺ كل انشراح. (١).

و رابعها تجلى الله تعالى عليهم فى جنة الكثيب. و هذا عطية لم يعطوها بعمل بل تلقوها تلقيا و هبيا جبليا خارجا عن الكسب بسبب ما نفخ فيهم من النفس الإنسانية وما خلقوا عليه من أحسن تقويم. نعم الأعمال تريح الموانع (٢) و ترفع الحجب. (ولذلك قال النبى ﷺ: إنكم سترون ربكم كما ترون القمر. فمن استطاع منكم أن لا يترك صلوة قبل طلوع الشمس و صلوة قبل غروبها فافعل). (٣)

وأعلم أن النبى ﷺ لم يبح إلينا بشىء من باب التفكر فى الذات بل نهانا عنه بقوله: لاتفكروا فى الخالق، و قوله لافكرة فى الرب (٤) فدخل فى النهى مباحث الصفات أعنى بيان حقائق صفاته تعالى

(١) فى م: "كل الشرح."
(٢) كذا فى م. و فى خ: "تزويج و ترفع" الخ و هو من غلط الناسخ.
(٣) من قوله: و لذلك إلى " فافعل" كل هذه الأسطر لم يوجد فى المطبوعة، إنما نقلته من الخطية. و هذا الحديث أخرجه الترمذى بسنده عن جرير بن عبدالله البجلى قال: كنا جلوسا عند النبى ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: إنكم ستعرضون على ربكم فترونه كماترون هذا القمر لاتضامون فى رويته فإن استطعتم أن لاتغلبوا على صلوة قبل طلوع الشمس وصلوة قبل غروبها فافعلوا ثم قرأ فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب. راجع سنن الترمذى- باب ماجاء فى روية الرب تبارك و تعالى. ص ٢٦٦ طبع أصح المطابع.
(٤) لم أقف على من أخرج هذين الحديثين.

و کیفیة إتصافه بها أن السمع و البصر هما غیر العلم أو عین العلم، و الكلام نفسی أو شیء آخر و علی هذا القیاس ألهم إلا أشیاء وجد النبی ﷺ نفوس العرب و العجم تدرکها، و تصف الرب بها من تعظیم أو تقدیس (١) وتنزیه وتشبیه لقدرته علی الخلق بسیاسة الملك(٢) و نحو ذلك حیث رآهم لا یکمل لهم کمالهم إلا بمعرفتها، و وجدهم لا ینفكون عن وصف الرب بها فی قرن من القرون. فینبیء (٣) التذکیر بأیام الله وآلائه علیها و استعملها فی کلامه کما یستعملون لم یشتغل لشرح (٤) حقائقها و اکتناه کنهها ولم یتکعکع عن استعمال التشبیهات کالید والرجل والضحك، و مضی علی ذلك القرون المشهود لها بالخیر. ثم نشأ ناس یسمون أنفسهم أهل السنة. والسنة عنهم بمراحل. فیکلفوا ما لا یعنیهم وما لم یأت به نبیهم. فیالهم (٥) من مصیبة عمت فأعمّت و الله المستعان.

وأما الآیات الظاهرة علی ید نبینا ﷺ فأصولها التی ترجع إلیها بل أصول الخوارق التی تظهر (٦) علی أیدی الکاملین قاطبتهم أمور:

منها البخت. وتحقیقه أن فی نفوس الإنسان نقطة تجذب إلیها سائر النفوس وتقهرها، وتاتی علیها بمنزلة جذب المَغْنَطِیس (٧)

(١) فی م: "و تقدیس".
(٢) فی م: "و سیاسة" بالواو.
(٣) فی م: "فبنی".
(٤) فی م: "بشرح".
(٥) فی م: "فیالها".
(٦) فی م: "یظهر".
(٧) ای تجذب تلك النقطة النفوس و تقهر و تغلب علیها کما تجذب المقنطیس الحدید.

لأجزاء الحديد. فإن كانت قوية السعادة أوجبت أن يفاض فى نفسه و فى نفوس من حوله من الناس بل البهائم والملائكة أيضا خواطرتميل إلى رفاهية و ترفقه و إن كانت قوى الشقاوه أوجبت أن يفاض فى نفسه و نفوس من حوله من الناس والبهائم والملائكة (١) خواطر تؤدى إلى بؤسه و بلائه.

وقد رأيت كثيرا أن القضاء ربما انعقد بهلاك رجل فسال هذا القضاء إلى الأسباب سيلان الماء فى أرض معشبة أو سيلان نور الشمس من ستر منخرق فيراعى هنالك الوزن بين الموجب والمانع. فإن كان العشب والقذا يمنع سيلان الماء، والستر يمنع نفوذ نور الشمس حصل سيلانهما بما أمكن فكذلك يسيل القضا بأقرب ما يمكن هناك. فإن كان هناك وهدة (٢) وكان وقوعه فيها غير بعيد من النظام سال القضاء إليه. (فحدث فى قلبه خاطر ان يمشى قريبا منها وحدث فى رجله زلق عندها فيكون فيها حتفه، وإن كان هناك له خصم وكان خصومته غير بعيدة سال القضا إليه(٣) فحدث فى قلب الخصم أن يخاصمه أوحدث له غضب فشتم الخصم فآل الأمر(٤) إلى هلاكه. وإن كانت هناك دابة سال القضا إليها أن ينفحه برجلها (٥) أوتعضه بمجامع فيها فيكون فى ذلك حتفه. وإن كان إلهام الملائكة أقرب الأشياء يومئذ سال القضاء

---

(١) كذا فى خ. وفى م: "والملائكة والبهائم" بالتقديم والتاخير.

(٢) الوهدة: الأرض المنخفضة.

(٣) كل مابين القوسين من العبارة لم توجد فى خ. وهى منقولة من م.

(٤) فى م: "قال" وهو تصحيف.

(٥) يقال: نفحت الدابة الرجل: ضربته بحد حافرها.

إليهم ليقضوا أمرا كان مفعولا. ولكل شيء من هذه الأسباب أسباب توجبه حتما. (١)

والبخت سبب من الأسباب الأكثرية. وشاهدنا غير مرة أن بعض الناس في نفسه نقطة وهاجة بمنزلة الكوكب الدرى (٢) ينتشر منها خطوط شعاعية تنفذ (٣) في نفوس الناس والملائكة والبهائم. فكلما صادفت لها تاثيرا ومن النفوذ فيه تأثرا وجبت هنالك (٤) إرادة الاحسان إليه وامتلأ قلبه محبة منه.

وربما كان إنسان في نفسه نقطة لكنها ليست بتلك المنزله من الشعشة واللمعان فباشر أمورا من باب التوجه إلى بعض الأسماء الإلهية أو نحو ذلك. فلمعت نقطة لمعانا شديدا. ومن هذه الجهة لم يزل رسول الله ﷺ من أول أمره حين ولد وحين كان رضيعا عند ظئره تظهر الرحمة له والرفق واللطف حيثما كان، ولم يزل ينصر أحباؤه، ويخذل أعدائه ويدفع عنه ما يسوؤه ويتزايد ذلك حتى بلغ المبلغ الذى بلغه.

ومنها أنه ﷺ خلق في أحسن تقويم، وأعدل مزاج في وقت اجتمع فيه قوى الكواكب أحسن اجتماع (٥) يستدعي نباهة عظيمة وغلبة،

(١) كذا في خ. وفي م: "ولكل شيء من هذه الأسباب الأكثرية توجبه حتما."

(٢) في م: "الكوكب الدر" وجاء في خ: "الكواكب" بالجمع.

(٣) في خ: "ينفذ" بالياء.

(٤) كذا في خ. وفي م: أوجبت هناك.

(٥) منه يعلم أن الكواكب يراعى حالها في خلق الحوادث وقضائها. إن شئت تحقيقه فراجع "لمحات" تاليف المؤلف الإمام من لمحة ٣٧-٣٨.

وكونه إماما للعرب والعجم يقاد النواصى إليه، ويبقى ملته المنسوبة إليه (١) إلى يوم القيامة.

وقد أودع الله تعالى فى كل شى من الأنواع والأشخاص والأوضاع أثرا وخاصية. وليس فى نظام الخيرسد شيء عن أثره وخاصيته فأوجبت هذه المزية أن يكون أجمل الناس واكملهم خلقا وأشجعهم وأجودهم وأحلمهم وأعدلهم وأفصحهم، ونشأ من قوم هم أشراف العرب وخيار الناس، ولم يزل من له نوع خصوص إلى معرفة القضايا المنعقدة (٢) فى حظيرة القدس كالكهان والجن والمنجمين وغير أولئك (٣) يستدلون بما عندهم على كونه قد قدر فى حقه هذه الأمور فضلا عن الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم من الرهبان ومتحنثى العرب.

وهاتان الخصلتان قد شاركه ﷺ فيهما بقدر استعدادهم أصحاب سعادة البخت وسلامة الأخلاق من الملوك العادلين. فقلما كان رجل مجدد لدوله إلا وقد أثر عنه أمور خارقة من جنس ماذكرنا. وقلما كان رجل تام فى أخلاقه قد اجتمع فى وقت وجوده قوى سعيدة فى الكواكب إلا وقد أثر عنه نحو من ذلك.

ومنها أنه كان (٤) مفهما يتلقى من الغيب لصفاء لوح ذهب

---

(١) إضافة "إليه" من م.
(٢) فى م: "القضاء المنعقد".
(٣) كذا فى خ. وفى م: "أوغير أولئك".
(٤) كذا فى م. وفى خ: "ومنها مفهما".

من الألواث التى (١) توجب الرين وتمنع من انطباع (٢) ما انعقد تشبحه فى حظيرة القدس ماشاء الله من أخبار الوقائع الماضية والآتية. وقد ذكرنا سر ذلك. فربما تمثل له فى روياه وما (٣) يطلع به على حقيقة الأمر بواسطة التعبير أو بغير واسطة. وربما تمثل له فى يقظته مايبد وقليلا، ثم عما قريب ينمحى من قبيل ماله لون وشكل (٤) أو غير ذلك. وربما تمثل له ملك فخاطبه بما يعى منه علما وفى مثل هذه الصور لا بد لمن آتاه الله علم تاويل الأحاديث من التأمل فى أمرين. أحدهما أن هذه الحادثة لابد لها (٥) من تميزها بالنسبة إلى سائر الحوادث حتى انكشفت دون غيرها ويكون ذلك من وجوه كثيرة من جهة اشتياق النفس لها شوقا ظاهرا كالرجل المشروب لمايتوقعه أو شوقا كامنا كالفقير يشتاق للغنا ولما يفضى إلى الغنا من المكاسب والحيل، وإن كان لا يخطر فى ذهنه أحاديث ذلك فى تلك (٦) الساعة، ومن جهة قوة انعقاد الحادثة فى الملاء الأعلى فليس أحد ممن له خلوص إلى ماهنالك بوجه من الوجوه إلا وينطبع فى ذهنه شيء من ذلك. وذلك فى الوقائع العظيمة من حدوث دولة وكبت دولة وقحط ووباء مستطيرين ونحوها ولايكون هذه الصورة إلا

---

(١) فى خ: "الألواح" مكان "الألواث".
(٢) فى خ: "تمنع انطباع" بدون "من".
(٣) كذا فى خ: "وما يطلع به" بزيادة "ما".
(٤) فى خ: "أو شكل".
(٥) إضافة "لها" من: م ولم يوجد فى خ.
(٦) كذا فى خ. وفى م: "هذه" موضع "تلك".

ويتواطأ رويا القوم ومكاشفاتهم منها (١) ومن جهة تدبير الحق تبارك وتعالى فيكون النظام الخير لا يتم إلا بإفراغ علم فى قلب من استعد له ولذلك خص فرعون برؤيا القحط ليكون من الأمر على بصيرة. (٢) ولايكون إفراغ علم فى قلب أحد إلا بركنين. أحدهما استعداد النفس وثانيهما جود الله وفيضان رحمته ويكون اجتماع الركنين بوجوه (٣) شتى.

فمنها ما يغلب فيه الجود على الاستعداد. وذلك فى العلوم المنوط بها صلاح الجمهور أو صلاح قوم أو شخص.

ومنها ما يكون الاستعداد فيه أكثر من الجود. وذلك فى العلوم التى لاتتعلق (٥) بمصالح الناس.

والأول منشأ علوم الأنبياء عليهم السلام ولايكون إلا صادقة مطلقا يصح أن يكلف به الناس. والثانى منشاء علوم الأولياء ويكون صادقة باعتبار حال دون حال، وفى نفس دون نفس اللهم إلا الذين هم ورثة الأنبياء، ومن جهة مناسبة الواقعة لهذه النفس فرب رجل يناسب أصل فطرته (للحوادث الجزئية ورب رجل يناسب فطرته) (٦) للأمور العظيمة.

---

(١) فى م "فيها".

(٢) لعل المراد من فرعون هذا: فرعون يوسف عليه السلام، فإنه أرى القحط كما أخبر به الله تعالى: وقال الملك إنى أرى سبع بقرات. الآية.

(٣) كذا فى م. وفى خ: "بوجه" بالإفراد.

(٤) فى م: "يفضى" بالياء.

(٥) فى م: "لايتعلق" بالياء.

(٦) كل ما بين القوسين من العبارة نقلتها من م، ولم توجد فى خ.

وثانيها(١)أن انفلات النفس من عوائقها الدنيوية يكون مسببا لأسباب (٢) خفية . فرب شغل يفضى إلى دعة جذر النفس ورب دعة يفضى (٣) إلى شغل جذر النفس، ورب منافسة (٤) يؤدى إلى إمعان، ورب مزاحمة تفضى إلى انحجام .

ومنها أنه أوتى بركة عظيمة فى نفسه وفى جميع (٥) ما يتعلق بها. وحقيقة البركة أن يتوجه إلى العبد سبب واسع من صلوات الملاء الأعلى ودعواتهم (٦) ورضاهم فيمتزج بنفسه فيفضى إلى بسط الأسباب الطبيعية. فرب حالة نفسانية فى العادة تؤدى إلى أن يحس بالجوع ولا يتخلل أجزاء بدن بالحرارة الغريزية كالاشتغال بدفع مرض أوالانصباغ بخجالة و خوف وحمية ونحو ذلك. ولتلك الحالة استعداد من النفس والبدن. فإذا نزلت البركة فصادفت ذلك الاستعداد أوجبت أن يمسك عن القوة (٧) مدة مديدة تزيد على مايقتضيه العقل فى ذلك البدن. وكثيرا مايتمسك الرجل المبارك حين مايريد ظهور هذا الأثر بذكر اسم الصمد والقدوس

(١) معطوف على قوله: "أحدهما أن هذه الحادثة الخ.
(٢) كذا فى م. وفى خ: "للأسباب" بلام التعريف. لعله من سهو الناسخ.
(٣) فى م: "يقضى" بالقاف. لعله من سهو الناسخ.
(٤) كذا فى خ. وفى م: "منافشة".
(٥) فى خ: "فى جميع" بدون وا والعطف.
(٦) فى م: "دعوتهم" بالإفراد.
(٧) كذا فى خ. وفى م: "أن يمسك وعن القوت".

و نحو ذلك ليوجه نفسه تلقاء هذه الحالة النفسانية أو يشخص (١) البركة فى تلك الصورة . و رب حالة نفسانية فى العادة تؤدى إلى(٢) بطش وسهر معلومين كما نبساط القلب و عروض حمية و منافسة و خوف و نحو ذلك. و لتلك الحالة استعداد". فإذا نزلت البركة و صادفت هذا الاستعداد أوجبت أن يتضاعف بطشه و سهره أضعافا كثيرة . (٣)

وكثيرا ما يرى الرجل من صاحبه أفعالا و هيئات فيتفطن منها (٤) إلى أمور كامنة لايهتدى إليها غيره و لا هو فى الحالة الأخرى. و لتلك الحالة استعداد فمتى ما صادفت البركة ذلك الاستعداد أوجبت فراسة خارجة عن العادة بالكلية .

وكل نفس ففيها صورة لاعتقادها فى ربه تبارك و تعالى و فى شعائر الرب . وكذلك لكل ما لقلبه تعلق به وربما توجه إلى ذلك الاعتقاد بجهد همته فلبس لباسا من الأشكال و الصور و أكثر ذلك فى المنام وأقل ذلك فى اليقظة. فربما صادفته البركة وهوبهذا الاستعداد فأوجبت ظهور تجليات ومبشرات لايحوم حومها العامة.

و بالجملة فمن المعجزات التى تواترت حكايتها أنه ﷺ كان يدعو على طعام أو شراب فبارك فيه بركة كثيرة. و ذلك إما أن يزيد نفع

---

(١) فى خ : " بشحص " بالياء .

(٢) فى خ : " يؤدى " بالياء .

(٣) كذا فى خ. والعبارة هنا فى م هكذا : ولتلك الحالة استعداد أوجبت أن يتضاعف وصادفت ذلك الاستعداد أوجبت أن يتضاعف بطشه وسهره أضعافا كثيرة .

(٤) إضافة " منها " من م .

الشيء فقط فيقع الشيء موقع النفع الزائد، وإما أن يزيد عين الشيء أيضًا فتنقاد المادة لوهجات (١) همم الملاء الأعلى فتلبس بصورة الماء أو الطعام، ولذلك نظائر في العادة. وها تان الخصلتان قد شاركه ﷺ فيهما المفهمون والأولياء. ولذلك ترى كتب مقاماتهم مملوءة بأنواع هذه الكرامات من كشف وإشراف وهاتف واستجابة دعاء ونحو ذلك.

ومنها أن يحدث الحوادث القليلة الوقوع لأسباب لايتحقق إلاقليلاجدا فتسمى (٢) خوارق. والحق أن كل ما يسمى خرقا فإنه من الأمور العادية، لكن لما كان أسبابها قليلة الوقوع لايظهر إلاقليلا وحيث كان العامة لايتوقعونها سميت خوارق. وربما كان للخارق نظير مالوف عندهم أو ماهو أتم منه في الخرق فلايلتفت إليه العامة. وإذا كان الخارق وقع عندهم بموقع عظيم وتعجبوا منه وانطلقت به ألسنتهم وكتبوه في التواريخ مثل صيرورة الماء في لمحة واحدة رخاما فلايلتفتون إليه. فإذا صارجسم آخرحيث كانوا لايتوقعون ذلك ولا ينقل (٣) فيهم استعظموه.

وربما كان شيء خرقا في جنس دون جنس كالفراسة العميقة وطي الأرض والتشكل (٤) بأشكال مختلفة، والتاثير في نفس الآخر فإنها

---

(١) الوهج اتقاد النار أو الشمس. حرهما من بعيد. وَهَج الطيب: انتشاره وأرجه. والمراد هنا أنوار الملاء الأعلى المؤثرة. والله أعلم.

(٢) في خ: "فسمى" بالماضي.

(٣) في خ: "ولاتنقل" بالتاء.

(٤) كذا في خ. وفي م: "الشكل".

ما لوفة فى الجن، ولا يستبعد منهم كثير استبعاد. فإذا كان شئ من ذلك لفرد من الإنسان استعظموه.

وبالجملة فيحدث هذه الحوادث فيجعلها الله تعالى معجزة لنبي من الأنبياء بوجه من الوجوه مثل أن يخبر بحدوثها قبل أن تحدث أو تكون موافقة لما أنزل الله عليه من سنة المجازاة ونحو ذلك كما أهلك الله عادا وثمود لمعاصيهم المستوجبة للإهلاك. فجعلها الله تعالى معجزة لهود وصالح عليهما السلام.

(قال بعض من له معرفة بعلم الأثر والحكمة الطبيعة كان)(١) من هذا القبيل انشقاق القمر فإنه حادثة قليلة الوقوع جعلها الله تعالى أمارة بقرب القيامة كما جعل الخسف والزلازل والملاحم آيات له، وجعلها معجزة لنبينا ﷺ من حيث أنهم سألوه آية. فأخبر أن الله تعالى سيريهم آية فلما انشق القمر أراهم ذلك. قال(٢) وليس يجب أن يكون انشقاقه البتة(٣) انشقاقا لعين القمر بل يمكن أن يكون ذلك بمنزلة الدخان، و

(١) لم توجد مابين القوسين من العبارة فى النسخة المطبوعة إنما نقلتها من النسخة الخطية. فعلم منها أن هذا الراى نقله المؤلف الإمام ممن له معرفة بعلم الأثر والحكمة الطبيعية وليس من إغراباته كما عده العلامة البحاثة الكوثرى رحـ منها حيث يقول فى تاليفه: حسن التقاضى: ومن إغراباته (الشاه ولى الله) عده انشقاق القمر عبارة عن ترائيه هكذا للأنظار، وليس سحر الأعين من شان رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

(٢) كذا فى خ. ولم يوجد فى م: وقائل هذا الكلام أيضا بعض من له معرفة بعلم الأثر والحكمة الطبيعية.

(٣) إضافة "البتة" من م.

انقضاض الكوكب و الخسوف و الكسوف مما يظهر فى الجو لاعين الناس فيستعمل بأزائها فى اللغة العربية ألفاظ وضعت لما يقع على أنفس(١) هذه الأشياء. وإنما نزل القرآن على لغة العرب. و نظير ذلك ما ذكر عبدالله بن مسعود، وناهيك به: أنهم أصابهم قحط فكانوا كلما نظروا أبصروا دخانا فى السماء.(٢) وفى ذلك نزلت: يوم تاتى السماء بدخان مبين.(٣)

وقال ابن الماجشون وهوإمام من أئمة الهدى: إن الله تعالى لايتحول يوم القيامة من صورة إلى صورة ولكن يراه الناس فى صور شتى. قال(٤) وسبب هذه الحادثة اجتماع أجزاء مائية صقيلة(٥) ملتئمة كالسطح الواحد وورائها (٦) جبل أوسحاب غليظ فيصير بمنزلة المرآة وينطبع(٧) فيها القمر

(١) فى م: "نفس" بالإفراد.

(٢) كما رواه البخارى فى صحيحه بسنده عن مسروق قال عبدالله إنما كان هذا لأن قريشا لما استعصوا على النبى ﷺ دعا عليهم بسنين كسنى يوسف فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيأة الدخان من الجهد. فأنزل الله تعالى: فارتقب يوم تالى السماء بدخان مبين. ألحديث. راجع صحيح البخارى ص ٧١٤ ج ٢ طبع أصح المطابع بكراتشى.

(٣) سورة الدخان ١٠.

(٤) أى ابن الماجشون. كذا فى هامش النسخة الخطية. وكتب فى م بعد قال: "وأرى أن".

(٥) فى م: صقلية.

(٦) فى م: هنا تصحيف حيث.

(٧) فى م: "تنطبع" بالتاء.

Marfat.com

فيرى الناس فى الجو قمرين. و ربما كان المنطبع دون الذى فى السماء. و ربما استتر عين القمر و ظهرت فلقتان فى الجو. و مثل ذلك كله مثل الخسوف و الكسوف و انقضاض الكواكب. و قد جاء النص بأنها كلها آيات.

و قلت: (١) و هذا القول ذكرته على سبيل الإمكان و الاحتمال و إلا فقدرة الله تعالى تسع الكل و العلم عندالله.

ولا يذهب عليك أن الطريق المستقيم فى هذه المسئلة وما يشبهها من التشبيهات كاليد والرجل، ومن المعاديات وغيرها(٢) أن يمرها الإنسان على ظواهرها و لا يشتغل بكيفية وجودها و يعتقد فى الجملة أن ما أراد الله و رسوله فهو حق، و لا يقول أراد هذا ولم يرد هذا ونحو ذلك. وكذلك لا ترى النبى ﷺ ولا أصحابه ولا التابعين لهم بإحسان يشتغلون بشىء من ذلك. و إنما جاء الاشتغال به من المعتزلة حين استرقوا من الفلاسفة، ثم استرق أهل السنة من المعتزلة (فدخل فيهم أيضا).(٣) و قد أوضحنا استراق المعتزلة من الفلاسفة و استراق أهل السنة من المعتزلة بما لا مزيد عليه فى بعض كلامنا فراجع.

و لننبهك ههنا على جملة من أصول العجائب الحادثة فى الزمان:

إعلم أن العالم كله عندنا شخص واحد له جسد واحد و نفس واحدة متعلقة به و نظم واحد لتدبير نفسه لجسده. و الحوادث التى تحدث فى المواليد الأربعة: المعدن و النبات و الحيوان و الإنسان مثلها (٤) كمثل الصورة

---

(١) اضافة: "قلت" من خ.

(٢) فى خ: "وغيره" بالضمير المذكر.

(٣) لم يوجد ما بين القوسين فى م.

(٤) إضافة "مثلها" من م.

المنطبعة في المرآة. فإنما ينطبع (١) في العناصر صورة اتصالات قوى الكواكب لا غير. وكما أن الصورة المنطبعة في المرآة يجتمع فيها حكم ذى الصورة وحكم المرآة جميعا فكذلك فى الحوادث يجتمع (٢) حكم اتصالات الكواكب وحكم العناصر جميعا.

والجملة (٣) فى ذلك أن الإنسان إذا نظر فى أى مرآة كانت فإنما ينطبع منه صورة الإنسان لا الفرس و ينطبع منه صورة الراس و اليدين و الرجلين والعينين و الأذنين والأنف وهلم جرا لا صورة الذنب و الخرطوم والعرف والقرون و الأظلاف، و أن المرآة إذا حاذاها شىء فإنما ينطبع فيها صورته على حسبها. فإن كانت عرضها أكثر من طولها أو طولها أكثر من عرضها أو مثله أو حمراء أو خضراء انطبعت فيها على نحو ذلك. فلكل من الرائى و المرآة حكم كلى و يتصادقان على شىء بخصوصه فكذلك ينبغى أن يتصور حال الحوادث ولاتبين (٤) أحد حقيقتها حتى يحيط بعلم الطبائع الأرضية و خواصها ثم يرصدها فى الحوادث فيسجد هنالك قبضا و بسطا لاتساعدها الأسباب السافلة فيضطر إلى اثبات الأسباب الفلكية، و حتى يحيط بقوى الكواكب، و حكمها السابغ الذى ينبغى أن يتحقق لولا الموانع فيسجد هنالك قبضا و بسطا يحوجانه إلى إثبات خواص المواليد. و إذا أيقنت بما ذكرنا حان أن نذكر سببا آخر.

(١) فى م: "يجتمع" موضع "ينطبع".
(٢) فى خ: "تجتمع" بالتاء"
(٣) فى خ: "بالجملة".
(٤) كذا فى خ. وفى م: "ولا يتبين" وعندى الصواب: "ولا يبين" من التبيين. والله أعلم.

اعلم أن وراء هذين السببين سبب آخر ناشيء من نظم تدبير النفس الكلية للجسد الكلى. و مثله كمثل الإنسان له أحكام منبجسة من النوع يطرد وجودها فى جميع الأفراد. فكل فرد لا بد أن يكون مستوى القامة، بادى البشرة، عريض الأظفار، ضاحكا، ناطقا و لا بد أن يكون جنينا، ثم وليدا، ثم طفلا، ثم غلاما، ثم شابا، ثم كهلا ثم شيخا ثم هرما.

فإذا كان طفلا كان مزاجه رطبا، وعقله همجا، ثم إذا شب يبس مزاجه و اشتد عقله. ثم اذا شاخ ظهر الفتور فى كثير من قواه و استولت عليه الرطوبة البادية. و الذكر أغير من الأنثى و أشجع و أعقل و هلم جرا.

فهذه الأحكام كلها(١) منبجسة من الصورة النوعية فإن الصورة النوعية هى التى اقتضت حكما كليا فى كل ما يظهر فيه، و كل ما ذكرنا أو أشرنا(٢) إليه تفصيل لهذا الحكم.(٣) و لذلك كان لكل نوع حكم آخر و لم يتخلف فرد النوع عن حكمه اللهم إلا مايرى فيه عصيان المادة بادى الراىء وكذلك الصورة الأولى أعنى(٤) النفس الكلية لها حكم فى جسدها و أعضائها و قواها لا يتخلف أصلا. من ذلك الحكم أنه كلما وجد نوع الإنسان و قبل صورتها المادة المختلفة فى صفاتها وجب أن يختلف أحكام الأفراد.

---

(١) إضافة "كلها" من م.

(٢) فى م: "و أشرنا".

(٣) فى م: تفصيل "هذا الحكم" بالإضافة.

(٤) فى م: "على" موضع "أعنى".

Marfat.com
Marfat.com

فمنها ماكاد يخرج من طبقة الإنسانية إلى الملكية و التجرد البحت والنبو عن الانغماس فى الدرون الطبيعى.

ومنها ماكاد يخرج منها إلى البهيمية و التلوث البحت و النبو عن النظافة الملكية و وجب أن ينطبع ألوان القبيلتين فى حظيرة القدس حيث ينحدر تدبير النفس الكلية إلى جسدها ووجب أن يوجب انطباعها فيها صيرورة الفيض المنحدر متلونا بلون يخالف الحكم الصراح المعتدل مخالفة ما. و هكذا يدور الأمر صعودا و هبوطا حتى يجب فى حكمة الله أن ينزل القضا بانقراض النوع بل انقراض جميع الحيوانات و النباتات. ثم ينتظر القضاء لاتصال فلكى و وضع أرضى يقتضيان ذلك فإذا وجد وجب(١) وجود القيامة فهذا حكم النفس الكلى و الترتيب الذى يقتضيه. وكذلك كلما كثر أفراد خارجة إلى الشيطنة و البهيمية ولم يجبر شرها جابر وجب أن ينزل القضا فى حظيرة القدس ببعث رسول و إنزال كتاب ثم ينتظر القضا لوجود رجل زكى مفهم يجتمع فى نفسه قوى الكواكب اجتماعا يؤدى إلى ظهور و عقد ملة وهداية و تاليف قلوب و انبجاس علوم. فإذا كان كذلك فار القضاء من صدره و تمثل الشرع والهداية فى موطن متوسط بين الغيب و الشهادة. و ذلك أنه و إنكانت مادة الشريعة مثلا أقوال النبى ﷺ و أحكامه و لكنها ليست هى هى وما أقرب شبهها بالصورة العلمية. فإنك إذا تصورت الإنسان حصل فى لوح ذهنك صورة الإنسان. و ليست صورة الإنسان هى الإنسان و لكنها مظهرها و منصتها. و منها فإن نظرت إلى الصورة من حيث أنها نشأة عرضية، (٢) و أنها شىء،

(١) كذا فى م. و فى خ: فإذا وجد وجود القيمة الخ.

(٢) إضافة ما بين القوسين من خ. ولم يوجد فى م.

Marfat.com

قائم بالذهن كانت أبعد شيء من حقيقة الأنسان، وإن نظرت إليها نظرا ينفذ منها إلى ما ورائها من حقيقة الإنسان لم ينته التفاتك إلا إلى تلك الحقيقة، وكانت الصورة كالزجاجة لا تلتفت إليها أصلا. وكذلك كانت الشريعة داخلة فى أقوال النبى ﷺ وعلومه من وجه خارجة عنها متعلقة بها من وجه آخر، ولا نحكم عليها أنها من باب التدلى، وأنها تنزل للحقيقة المسماة ببنى الأنبياء إلا من الوجه الآخر فعليك بالتدبر.

وبالجملة فهذا النظم مراعى فى جسد النفس الكلية كما يراعى التدبير المنبجس من النوع فى الفرد فلا يتحقق شيء من الحوادث إلا بحسب ذلك. والله أعلم.

أما أحواله ﷺ المتعلقة بعاداته وشمائله وأسفاره فهى راجعة إلى كونه فى أحسن تقويم مباركا فيه مؤيدا من حظيرة القدس، ولذلك امتاز فى كثير منها من أبناء نوعه ﷺ. وليكن هذا آخر ما أردنا إيراده فى هذه الرسالة. والحمد لله رب العالمين حسبى الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه أجمعين.

محتويات

تاويل الأحاديث

Marfat.com
Marfat.com

Marfat.com

Marfat.com

فهرس الاعلام

Marfat.com

فهرس المصطلحات

Marfat.com
Marfat.com

[ن]

[و]

الآيات القرآنية

Marfat.com

الاحاديث النبوية

صفحة

Marfat.com
Marfat.com